مباحث للعقلاء و المفكرين
(المبحث الرابع)

1+1+1= 3

1x1x1=1

هل يعقل أن الله ثلاثة ؟

إعداد
ق/سامي إسكندر
باحث و محاضر في الدين المقارن

مباحث للعقلاء والمفكرين

المبحث الرابع

هل يعقل أن الـــلـــه ثلاثة ؟

إعداد

القس / سامي.م. اسكندر

باحث ومحاضر في الدين المقارن

الكتاب : مباحث للعقلاء والمفكرين (المبحث الرابع).
هل يعقل أن الله ثلاثة؟
المؤلف والناشر : القس سامي م. إسكندر.
مصمم الغلاف : مركز فيلادلفيا للدعاية والأعلان
ت : ٠١٢١٩٦٠٦٥٦
رقم الإيداع : ٧١١٩/ ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : ٩٧٧-١٧-٥٥٤٦-٣.
الأخراج الفني : مركز فيلادلفيا للدعاية والأعلان
ت : ٠١٢١٩٦٠٦٥٦

يطلب من الناشر ت: ٠١٢٢٤٨٠٣٠٢ .
ومن المكتبات المسيحية.

شكر خاص للخدمة العربية المسيحية

للمساهمة فى انتاج هذا العمل



«إن للآب أقنوما متميزاً والإبن أقنوما متميزاً، والروح القدس أقنوما متميزا كذلك. ولكن الآب والأبن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساوي، وجلال أبدي، الآب غير محدود والأبن غير محدود، والروح القدس غير محدود، لكن ليسوا ثلاث آلهة غير محدودين».

القديس أثناسيوس الرسولي

«إن فكرة الله في المسيحية لا تشبهها فكرة أخرى في ديانات ذلك العصر الكتابية أو غير الكتابية ويستكمل قائلا فليس لها شبيه في العبادات الوثنية بأسرها. فالإيمان بالله على تلك الصفة التي تنفرد بها المسيحية إنما هو فتح جديد لرسالة السيد المسيح، لم يسبقه إليها في اجتماع مقوماتها رسول من الكتابيين ولا غير الكتابيين، وهي لم تكن أجزاء مقتبسة من هنا أو من هناك بل كانت كلاماً متجانساً من وحي واحد وطبيعة واحدة!!».

الكاتب المصري المعروف عباس محمود العقاد

في كتابه عن الله (ص ١٤٩و١٥٠)

الفهرست

الصفحة

تقديم

يقدم الصديق القس سامي منير بحثاً قيماً في موضوع الثالوث وهو من الموضوعات الهامة جداً لإيماننا المسيحي.

وهو يقدم خبرة طويلة من التعامل مع مثل هذه الأسئلة اللاهوتية من عشرات الباحثين عن الحق.

يسرني جداً أن يطلب مني تقديم هذا الكتاب القيم لما أكمه من محبة واحترام لمؤلف الذي تربطني به صداقة وزمالة أعتز بها.

أصلي أن يجد كل باحث عن الحق في هذا البحث المستفيض ما يريح قلبه ويوصله إلى نور الإيمان والحق في المسيح يسوع.

القس

عاطف سامي برنابا

القاهرة مارس ٢٠٠٨

فاتحة الكتاب

عدم فهمنا سر التثليث لا يثبت أنه مستحيل أو أنه ضد العقل السليم، فنرفضه. إن صحَّ أن نرفض التثليث لأنه فوق عقولنا، فيلزم أن نرفض غيره من معلَنات اللّـه التي تفوق إدراكنا، مثل عقيدة أن اللّه: قائم بنفسه، وأزلي، وعلة العلـل، وغيـر معلول وموجود في كل مكان في وقت واحد، وعالم بكل شيء وبكل ما يحـدث منذ الأزل إلى الأبد في كل وقت، وأن علمه لا يقبل الزيادة أو النقصان. لذا فسر التثليث ليس بأعظم الأسرار الأخرى المعلنة لنا في اللّه.

ولما كان يحق للّه أن يعلن لنا تعليماً دون أن يشرحه بالتفصيل، وكان يجـب علينا أن نقبل ذلك منه بالتواضع والإيمان القلبي، لذا وجب علينا أن نقبل تعلـيم الثالوث كما نقبل تعليم الوحدانية بدون تفسير لكيفيته بالتفصيل. وكـلام التـوراة والإنجيل في هذه القضية يؤهلنا لرفض التفاسير الكاذبة أو الناقصة فـي قـضية التثليث. أما إدراك حقيقة التثليث والاطلاع على غوامضه والتمكن من إيـضاحه فلا تتم إلا بواسطة النور السماوي المعلَن في كلمة اللّه، وتوضيح الروح القدس، اللذان يشرقان على عقولنا المظلمة بنعمة اللّه «ولَـيْسَ أَحَـدٌ يَقْـدِرُ أَنْ يَقُـولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»[1].

وما نراه من فرقٍ في خواص الأحياء من الأدنى إلى الأعلى، يحملنـا علـى القول بأن الحياة التي هي أسمى من حياة البشر تمتاز عنها في خواصها. فحيـاة الإنسان أعلى مرتبة من حياة البهائم، وحياة الملائكة أعلى مرتبـة مـن حيـاة الإنسان. لذا فمن مقتضيات العقل السليم أن نقر بأن حياة اللّه تمتاز عـن حيـاة سائر المخلوقات. فلا يوجد إذاً ما يمنعنا عقلاً عن الأقرار بالامتياز الأقنومي في الجوهر الواحد، لأنه هو ما تمتاز به حياة اللّه عن كل ما سواها في الكون. وهـذا

---

[1] الإنجيل، رسالة الرسول ١كورنثوس الأصحاح ١٢ الآية ٣.

هو مدلول الإعلانات الإلهية في تعليم ثلاثة أقانيم في جوهر واحد.

مقـدّمة منطقية: هل العقل يستوعب حقائق الإيمان؟

عجز العقل عن استيعاب كل الحقائق المختصّة بالثالوث: موضـوعنا الـذي سنبحثه الآن هو "الله المثلث الأقانيم في ضوء أسئلة العقل". يحاول الإنـسان أنْ يضع الله المثلث الأقانيم، سرّ الله كلّه، في ميزان عقله. وقد يكون هذا طموحًـا، إنْ لم يكن غرورًا وكبرياءً، إذ كيف يستطيع الإنسان المحدود، بعقله المحدود، أنْ يقيِّم ويضع في ميزان عقله سرّ الله المثلث الأقانيم، الذي هو سرّ الله؟

ولعلّ بعضنا يذكر قصة القديس أغسطينوس[٢] أسقف هيبو، الفيلسوف الكبير الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، وهو مـن أعظـم شخـصيّات تـاريخ الكنيسة. كان يتمشّى في أحد الأيّام على شاطئ البحر ذهابًا وإيابًا، يتأمّل فـي الله المثلث الأقانيم، ويحاول أنْ يحلّ مشاكله، ليرى كيف يمكن أن يكون ثلاثة فـي واحد، وواحدًا في ثلاثة. وبينما هو كذلك، رأى طفلاً وقد حفر حفـرة صـغيرة على الشاطئ وراح يملأ هذه الحفرة من ماء البحر بواسطة صدفة صغيرة. إبتسم له أوغسطينس وقال له: ماذا تفعل؟ أجاب: أريد أنْ أضع البحر في هذه الحفرة. قال له أوغسطينوس: هذا مستحيل، يا حبيبي، لأنّ الحفرة صغيرة جدًا. فردّ عليه الطفل: كذلك أنت عندما تحاول أنْ تضع الثالوث الأقدس، وهو أعمق الأسـرار فى عقلك المحدود. واختفى الطفل من أمام أوغسطينوس.

لا أعلم هل هذه القصّة واقعيّة أمّ خياليّة، لكنّ المهم أنّ الغرض منها واضح، وهو أنّ الإنسان يجد عقله عاجزًا، حين يحاول أنْ يـضع سـرّ الله فـي عقلـه المحدود.

❖ العقل العاجز يقبل حقائق الإيمان

قد يبدو هذا العنوان متناقضًا مع سالفه، ولكـنّ هـذا غيـر صـحيح، إذْ إنّ

---

[٢] كان القديس أغسطينوس أسقف هيبو (٣٥٤ - ٤٣٠م).

الإنسان، عندما يولد في إطار عائلة مسيحيّة، يقبل إيمانًا موروثًا عن أهله، ويقبله بطريقة تلقائيه طفولية صالحة لعمره الصغير. فإنْ ظلّ على هذا المستوى - مستوى الإيمان التلقائي الطفولي المسلّم به - بعد أن كبر، قد يكون هذا خطأ، إذْ إنّ الله منحنا ما نسمّيه العقل، ونحن نستخدم هذا العقل لحلّ مسائل الرياضة والعلوم واللغات والتجارة والعمارة وحلّ مشكلات الحياة. نستخدمه في كلّ المجالات، ولكن، حين نصل إلى المستوى الإيمانيّ، نقول: "قف، لا تستخدم عقلك، إنّ في استخدامه لخطرًا". لماذا؟

هل هناك تناقض بين الإيمان الذي يأتي من الله، والعقل الذي هو أيضًا من الله؟ هل نعتبر الإنسان الذي يتساءل حول إيمانه مخطئًا؟

أقول: لا، وليس مسموحًا فقط أن يستخدم العقل في مجال الإيمان والدين، بلّ إنّ ذلك واجب ضروريّ وحتميّ.

على كلّ إنسان، حين يتعدّى المرحلة الإبتدائيّة، وبالطبع الإعداديّة والثانويّة، أنْ يدخل في حوار بينه وبين إيمانه، لأنّ هذا العقل هبة من الله، فلا نتركه عقيمًا. حاول أنْ تتعقّل إيمانك، ويجب أنْ يكون هناك تفاعل بين الإيمان والعقل. العقل يعقل الإيمان، والإيمان يؤمن العقل. وهذا التفاعل مثمر، إذ نتج عنه ما نسمّيه علم اللاهوت. فعلم اللاهوت هو المحاولة التي نستعملها الآن معًا حتّى نتعمّق في سرّ من أسرار المسيحيّة الأساسيّة في ضوء العقل، وهذه محاولة لا بدّ منها. لا يمكن أنْ نستمر في ترديد جُمَل محفوظة عن ظهر القلب، حتّى إذا سُئلنا عن إيماننا، نقول: "هذا هو إيماننا"..."كيف؟...وضّح...لا أعرف، هذا هو إيماني". هل هذه إجابة كافية؟

يعتقد بعضهم أنّ هذا البحث الإيماني واجب على القسوس فقط. ولكن القسوس لا يذهبوا إلى الجامعة، والورشة، والمصنع. فعلى المؤمن أنْ يبشر بالإيمان في كلّ الأماكن التي يصل إليها. كلّنا مبشرين وكارزين، وليس هناك فرق بين القسوس والمومنين في هذا المجال. علينا جميعًا أنْ نحمل هذا الإيمان إلى كل الأماكن التي نعيش فيها. فالاجتهاد في فهم الإيمان واجب على كل مؤمن.

إهداء

إلى كل

الباحثين عن الحق الذين بأسئلتهم

ساعدوني إلى الوصول نور الحق

إلى

العقلاء والمفكرين

إلى كل من يشتاق لمعرفة الحق

أقدم لهم هذا المبحث الرابع

الفصل الأول

هل يعقل وجود أكثر من إله واحد؟!

لا يوجد أكثر من إله واحد فقط، بل هو الله الإله الحي الحقيقي. لقد واجهت مشكلة وحدانية الله صعاب كثيرة في تاريخ الخلاص. ففي العهد القديم عاش شعب الله الصعاب الكثيرة للدفاع عن شيء يؤمن به ألا وهو «**الإله الواحد**». والمسيحية منذ نشأتها عانت وتعاني حتى الآن هذه المشكلة. «فالمسيحية تعترف بوحدانية الله قبل أن تعترف بمذهب التثليث. فمذهب الوحدانية جاء أولاً وسبق كل اعتراف بالثالوث. فيقول البعض أننا نعبد ثلاثة آلهة، أي أننا مشركون. ولكن، في ضوء الكتاب المقدس هنالك نصوص واضحة صريحة تتحدث عن وحدانية الله في المسيحية وعن التأكيد أن عبارة «**لا إله إلا الله**» عبارة مسيحية. أي أنه توجد نصوص في التوارة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) وفي تاريخ الكنيسة كلّها تتحدث عن وحدانية الله. وهنالك أيضا العقل لإثبات هذه الوحدانية والفلسفة أيضا». والتوارة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) كلمة الله تؤكد لنا هذا المعنى قائلة:

«أنا الرب إلهك..لا تكن لك آلهة أخرى أمامي»[٣].

«اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[٤].

«لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه»[٥].

«الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه»[٦]. «أنا الرب و ليس آخر. لا إله سواي»[٧].

---

٣ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر الخروج الأصحاح ٢٠ الآية ٢.

٤ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأصحاح ٦ الآية ٤.

٥ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأصحاح ٤ الآية ٣٥.

٦ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأصحاح ٤ الآية ٣٩.

٧ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٥ الآية ٥.

«أنا الرب وليس آخر»[8].

«أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَرَ غَيْرِي. إِلهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ لَيْسَ سِوَايَ. اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا، يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ»[9].

«لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي»[10].

عندما سأل أحد الكتبة يسوع: «فَأَجَابَهُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ...فَقَالَ لَهُ الكَاتِبُ: جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ بِالحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ»[11].

«لأن رباً واحداً للجميع»[12]. «...أن لَيْسَ إِلهُ آخَرَ إِلاَّ وَاحِداً»[13].

«...رب واحد. إيمان واحد. معمودية واحدة»[14].

«إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ، لِلْكُلِّ الَّذِي عَلَى الكُلِّ، وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ»[15].

«لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد»[16].

«أنت تؤمن أن الله واحد حسناً تفعل»[17].

وقانون الإيمان الذي نردده في كنائسنا بجميع طوائفنا يقول: «نؤمن بإله واحد». نؤمن نحن المسيحيين بأن الله واحد لا شريك له، خالق السماوات والأرض، القدير الحكيم، الذي لا بداية له ولا نهاية، الأول والآخر، الرحمن

---

8 التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح 45 الآية 18.

9 التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح 45 الآيات 21و22.

10 التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح 46 الآية 9.

11 الإنجيل، إنجيل الرسول مرقس الأصحاح 12 الآيات 29و32.

12 الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح 10 الآية 12.

13 الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأول لأهل كورنثوس الأصحاح 8 الآية 4.

14 الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل أفسس الأصحاح 4 الآية 5.

15 الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل أفسس الأصحاح 4 الآية 6.

16 الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأول تيموثاوس الأصحاح 2 الآية 5.

17 الإنجيل، رسالة الرسول يعقوب الأصحاح 2 الآية 19.

العادل، القدوس والجواد، الحق الحي، الذي لا يُرى ولا يُلمس أو يُدرك بالحواس البشرية.

أولاً: العقل يؤكد وحدانية الله

العقل يؤكد لنا وحدانيّة الله إنْ أخذنا الموضوع من ناحية أخرى وتساءلّنا: هل العقل السليم يستطيع أنْ يصل إلى إثبات هذه الحقيقة «أنْ لا إله إلاّ واحد» بالتفسير المنطقي؟ بالطبع نعم، لأنّنا، عندما نلفظ كلمة: "الله"، ماذا نقصد بها؟ الله هو الكائن الذي يشمل في ذاته كلّ الوجود وكلّ الممكن وكلّ المستحيل. هذا هو الله. فإنْ افترضنا وجود إله آخر بجواره، خارج دائرة الألوهيّة، نفينا كيانه كشامل الكلّ. فالله لا يكون إلاّ إذا شمل ذلك الكائن الآخر الذي بجواره، لأنّ الله يجب أنْ يشمل في ذاته كلّ الوجود. فتصبح دائرة الألوهيّة بلا حدود، ليس في خارجها شيء ولا شخص ولا كائن ماديّ أو روحيّ أو أرضيّ أو سمائيّ، أيًّا كان. فحين نقول: "**هناك ثلاثة آلهة**"، يكون كلامنا مناقضًا لذاته. فإذا افترضنا أنّ الآلهة الثلاثة تقاسموا الوجود أو الألوهيّة، أي قلنا إنّ تعريف الإله لا ينطبق على أحدهم، لأنّ كلمة الله شاملة لكلّ الوجود. إذن فإنّ معطيات الإيمان المسيحيّ ومعطيات العقل والفلسفة تقابل إعلان وحدانيّة الله.

وإذا قلنا أن هنالك إلهين كما في بدعة "**ماني**"، فالعقل السليم يحكم بأن علـــة العلل لابد أن تكون واحدة فقط، لأنه يستحيل على العقل التسليم بوجود علتين أو أكثر، غير محدودتين، سرمديتين غير متغيرتين.

وهذه الأدلة العقلية تؤكد ذلك، منها ما يلي:

١- الكثرة لا توجد إلا في الكائنات حيث الضعف والانقراض فيها، ليحل واحد من أفرادها عوضاً عن المنقرض، ولإن الله أزلي أبدي، ولا يضعف أو يتغير على الإطلاق، فلا يمكن أن يكون هناك سواه.

٢- وشيء آخر، وهو إذا فرضنا أن هناك إلهين، وجود آلهة غير الواحد أحد فيعني أن لكل واحد منهم مكان، لكان كل منهما متحيزاً بمكان، أو حيّز يريد

أن يشغله. ونحن نعرف أن الله موجود في كل مكان وليس في مكان واحد، فلا يمكن أن يكون هنالك آلهة أخرى، بل إله واحد،

٣- وبما أن التحيز بمكان لا يكون أزلياً بل حادثاً، فلا يمكن أن يكون أي منهما هو الله، لأن الله لا يتحيز بحيّز. فلا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد غير متحيز بمكان. وهذا الإله هو الله.

٤- إذا ما نظرنا حولنا نجد أن هنالك تبدّل قد حصل في العالم. كائنات تولد وكائنات تزول ويحلّ محلها كائنات أخرى. أو يحصل هنالك تبدل فيها. إلا أن الخالق الذي أوجد هذه الكائنات فلا يتبدل بل أبدي لا يزول. إذا قلنا أن هنالك إلهين كما في بدعة "ماني"[١٨] فسيقع هنالك فوضى وخصام، لأن كل واحد يريد أن يفرض أمره وبالتالي تحصل فوضى. وأن كل واحد يريد أن يخلق العالم على هواه ويريد أن يفرض سلطته.

ولو فرضنا أيضًا أن هناك إلهين،

لكانا إما قد اتفقا على خلق العالم أو اختلفا.

٥- فإن كانا قد اتفقا على أن يقوما بهذه المهمة، أو اتفقا على تقاسم السلطة، لما كان كل منهما مستقلاً في عمله. وهذا يتعارض مع الألوهية، لأن من مستلزمات الألوهية الاستقلال بالعمل. وهذا يعني أنه لا توجد حرية العمل على عكس الله الواحد الأحد الذي من متطلباته الاستقلالية في العمل وأخذ القرار.

٦- وإن كانا قد اتفقا على اقتسام المهمة المذكورة بينهما لكانت سلطة كل منهما محدودة. وإن كانا قد اتفقا على أن يعمل أحدهما دون الآخر لكان أحدهما عاطل، وهذا ما يتعارض مع الألوهية كذلك، لأن من مستلزمات الألوهية الحياة

---

[١٨] الفيلسوف ماني *إنسان من* "بلاد الفرس" قال هذا عن نفسه: أنه البارقليط روح القدس ويعتقدون بوجود إلهين متساويين. مثل زرواستر (زرادشت) معلّم الفرس العظيم قال بوجود إلهين، اسم أحدهما «أرومازد» وهو إله الخير والآخر «أهرمان» وهو إله الشر. من كتاب "علم اللاهوت النظامي" الفصل العاشر الأقوال الخاطئة في الله.

والعمل.

٧- أما إذا كانا قد اختلفا، لما كانت هناك وحدة أو انسجام في العالم، ولكان قد تلاشى وانعدام تبعاً لذلك منذ تأسيسه. والاختلاف يعني عدم الانسجام بين هذين الأمرين. فمن المعقول أن هناك في الكون إله واحد، وهو الله.

ثانياً: الخليقة تؤكد وحدانية الله

أن الخليقة تدل على وحدانية الله، في دلالتها على وجوده. لأنه إذا كان كل معلول يستلزم علة حكيمة، كذلك المعلولات العديدة، المتفقة النظام تستلزم وحدانية العلة. وبما أنه يوجد اتفاق كلّيّ، وموافقة كاملة في كل الخليقة، فالنتيجة الطبيعية هي **«أن الخالق واحد»**.

فإن الكون كله خلقاً وتدبيراً يشهد بوحدانية الله..خلق السماوات والأرض..واختلاف الليل والنهار..وأصناف الجماد والنبات والثمار..وخلق الإنسان والحيوان..كل ذلك يدل على أن الخالق العظيم واحد لا شريك له.

وهذه المخلوقات العظيمة إما أنها خلقت نفسها وهذا محال..أو أن الإنسان خلق نفسه ثم خلقها وهذا محال أيضاً.

لننظر إلى الطبيعة نفسها ونحللها جيداً. فالعلماء يقولون عن هذه النبتة أنها مفيدة لشفاء مرض معين أو لإضفاء جمال للسيدة. ولكن أليست كل هذه النباتات تشترك في أجزاء رئيسية خاصة بها، كالساق والأوراق والجذور.

لننظر إلى الإنسان أيضا، فهو مكون من أعضاء تشابه الأعضاء لإنسان يعيش في أفريقيا الجنوبية أو في الصين، أي أن كل جنس يختلف عن الآخر بالمظهر الخارجي ويشابهه في التكوين الجسمي.

وإذا نظرنا الى المادة نفسها نرى أنها تشترك في التركيب العام لذراتها، فجميع الذرات (كما يقول العلماء) تشبه المجموعة الشمسية التي نعيش في مجرتها. وهناك أشياء أخرى تطلعنا على اوجه الاختلاف بين المخلوقات والتشابه بين نفس الكائنات لتدلنا على أن هنالك خالق واحد لها، يسيّرها وينظمها

في الكون، وهو الإله الواحد، الله.

وقد دل العقل والوحي والطبيعية على أن لهـذا الوجـود موجـداً..ولهـذه المخلوقات خالقاً..حي قيوم..عليم خبير..قوي عزيز..رؤوف رحيم...عليم بكـل شيء..لا يعجزه ولا يشبهه شيء..ووحدانية الله معلومـة بالـضرورة وبداهـة العقول.

ثالثاً: العناية الإلهية بالخليقة تؤكد وحدانية الله:

هو وحدة التدبير فيما تقوم به حياة الإنسان، وسعادته، ودوام كل الخليقة فـي الظروف التي خُلقتَ عليها[١٩].

وتنوع هذه المخلوقات وعظمتها..وإحكامها وإتقانها..وحفظها وتدبيرها كـل ذلك يدل على أن الخالق واحد يفعل ما يشاء..ويحكم ما يريد...

وكل ما سبق يدل على أن لهذا الخلق خالقاً..ولهـذا الملـك مالكـاً..ووراء الصورة مصور...وصلاح الـسماوات والأرض..وانتظـام الكـون..وانـسجام المخلوقات مع بعضها..يدل على أن الخالق واحد لا شريك له.

رابعاً: البرهان الذاتي في الله يؤكد وحدانيته:

يتبرهن ذلك من كـونه تعـالى يسمّى أحيانًا بإحـدى كمالاته:

كالقول «اللهَ نُورٌ»، فليس معناه أن الله نورٌ بمعنى الضوء ومن اعتقد ذلك فقد ضل وكفر إلا لسمي الله أنوار، إنما معنى القـول أن «اللهَ نُـورٌ»: أنـه يهـدي المؤمنين لنور الإيمان.

و«اللهَ مَحَبّةٌ»، وليس محبات.

و«اللهَ قوةٌ»، وليس قوات.

و«اللهُ رُوحٌ». وليس أرواح.

١ – اسم الجلالة «إيل»:

---

[١٩] راجع المبحث الثاني: هل يعقل أن المسيح هو الله؟

اسم الجلالة في اللغة العبرية «إيل» بالمفرد وقد جاء ٢٥٠ مرة. واسم الجلالة في الجمع هو «إلوهيم»[٢٠] وقد جاء ٢٥٠٠ مرة. وقد قيل إن هذا للتعظيم، فحينما تنطق اسم الله لا بد أن تقوله بالجمع مثلما تقول لعظيم "حضرتكم، سيادتكم، فضيلتكم". لكن هذا الأسلوب قاصر على اللغة العربية فقط، ولا يوجد في العبرية، لأنها لو كانت كذلك إذاً ما الداعي لوجود الاسم «إيل»[٢١] بالمفرد ٢٥٠ مرة؟ ثم الملاحظ في العهد القديم كلمات فرعون كانت بالمفرد «أنا» ولم تكن أبداً بالجمع «نحن» مثل «حَلُمْتُ حُلْماً»[٢٢]، وليس «حلمنا». وعندما تكلم يوسف معه خاطبه أيضاً بالمفرد مثل «قَدْ أَخْبَرَ اللهُ فِرْعَوْنَ. قَدْ أَظْهَرَ اللهُ لِفِرْعَوْنَ. لِيَنْظُرْ فِرْعَوْنُ»[٢٣].

٢- أقوال الله:

في صيغة الجمع والمفرد في آن واحد مثل: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»[٢٤] (في صيغة الجمع). ثم الآية التالية لها في صيغة المفرد

«فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ»[٢٥].

«هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا»[٢٦].

---

[٢٠] ومعناه الحرفي (المقتدرين) وهو صيغة جمع للاسم العبراني السالف (إيل) والذي معناه القدير، ولاسم عبراني آخر هو (إيوه) ومعناه (يقسم أو يتعهّد)، فالاسم (إلوهيم) إذن يتضمن معنى القدرة والأمانة معاً، ومفرده العبراني هو (إيل)...

[٢١] إيل ومعناه (القدير) ومترجم في توراتنا العربية (إله أو الله)...وقد ورد أحياناً في توراتنا العربية بنطقة العبراني كقوله: (إيل بيت إيل) (تكوين٣٥: ٧)، أي (قدير بيت القدير)، أو مضافاً إلى اسم شخص كـ (اسرائيل) الذي معناه (أمير الله أو القدير يصارع)، وإلى اسم مكان مثل (فنيئيل) أي (وجه القدير)...

[٢٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٤١ الآية ١٥.

[٢٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٤١ الآيات ٢٥و٢٨و٣٣.

[٢٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١ الآية ٢٦.

[٢٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تكوين الأصحاح ١ الآية ٢٧.

[٢٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تكوين الأصحاح ٣ الآية ٢٢.

«هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ»[٢٧].

هتاف السرافيم: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود»[٢٨].

«مَنْ أُرْسِلُ (مفرد)؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا(جمع)؟»[٢٩].

٣- صفات الله

صفات ذات الله عديدة منها مثلاً المحبة، والسمع، والكلام. فلو كان الله في وحدانيته الواحد الفرد، العدد الحسابي البسيط، ما دام الله واحدًا.

فكيف نفسّر عقيدة الثالوث؟

الثالوث لا يُفسَّر إلاّ من خلال إطار الوحدانيّة، ولكن كيف يمكن أنْ نجمع بين وحدانيّة الله وتثليثه؟ هذه مشكلة عقلية ضخمة، إذ إنّ الموضوع ليس سهلاً.

الدليل أنّ المسيحيّين الأوائل لم يقبلوا هذه الحقيقة بسهولة، كما نشرب رشفة ماء، بلّ إنّهم بالروح القدس والتفكير الجادّ المضني صاغوا هذه الحقيقة في قانون الإيمان.

والآن فلنبدأ في التسلسل المنطقيّ الذي سيجعلنا نتعمّق في الموضوع شيئًا فشيئًا.

❖ **الله كامل**

كلّنا نوافق على أنّ الله كامل، وأنّه، إنْ لم يكن كاملاً، فلا يكون الله. فكلمة "كامل" تعني أنّ الله يجمع في ذاته كلّ الصفات الحسنة على الإطلاق. إنْ كنت أنا ذكيًا، فهو ذكيّ على الإطلاق، وإنْ كنتُ حكيمًا، فهو حكيمٌ على الإطلاق. وإنْ كنت رحيمًا فإنّه رحيمٌ على الإطلاق.

فإنْ كان في العالم محبّة، ومصدر العالم هو الله، يجب إذًا أنْ يمتاز الله بهذه

[٢٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١١ الآية ٧.

[٢٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦ الآية ٧.

[٢٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦ الآية ٨.

المحبّة على الإطلاق. والخلاصة أنّ كلّ الصفات الحسنة التي في العالم هي في الله، ولكن على وجه الإطلاق.

❖ **الله محبّة**

في نظر الفكر المسيحيّ، يلخّص الاعتراف بأنّ الله محبّة كلّ صفات الله التي يُمكن أنْ نصفه بها، لأنّ كونْ الله محبّة يفترض أن يكون رحيمًا ورزّاقًا وغفورًا...إلخ. ولكن الاعتراف بأنّ الله محبّة لا ينفصل عن الاعتراف بأنّ الله ثالوث، والاثنان مرتبطان ارتباطًا حتميًا، كما سنراه في ما يلي. ونصل لهذه النتيجة بالاستعانة بالعقل البحث، واضعين طبعًا في الخلفيّة إيماننا وعقيدتنا.

❖ **ما هي المحبّة؟**

المحبة هي بذل وعطاء. فعندما نقول: "إنّ **الله محبّة**"، نعني أنّ تلك المحبّة تقتضي لدى الله بذلاً وعطاءً. ولكن إنْ تساءلْنا: بذل وعطاء لِمَن، افترضنا أنّ المحبَّة تقتضي ثنائية: حتى يكون هناك محبَّة، يجب أن يكون هناك طرفان: طرف يعطي وطرف يستقبل. يبدو لنا إذًا تناقض ظاهريّ بين كَونْ الله واحدًا وكَونْه محبّة. ونعود للسؤال: بذل وعطاء لِمَن؟

تظهر هنا عدة اقتراحات أو احتمالات سنضعها ونناقش كلاً منها:

أوّلاً: أن يكون الطرف الثاني إلهًا آخر. إنّ ذلك أمر مرفوض أصلاً، لأنّ العقل لا يقبل تعدّد الألهة، كما سبق وأوضحنا.

ثانيًا: إن قلنا: إنّ الله يحبّ نفسه، نُلغي صفة المحبَّة منه، لأنّ حبّ الذات عكس المحبّة ونقيضها، ولأنّ المحبَّة تحتّم وجود علاقة عطاء وتبادل ومشاركة.

ثالثًا: قد يقول قائل: إنّ الله أفاض من محبّته على الخلق والبشر، فلا داعي إذًا أنْ نفترض داخل إطار الإلوهيّة مجالاً آخر للتعبير عن هذه المحبَّة. وعلى هذا الرأي، يمكننا أنْ نعترض للأسباب الآتية:

والسؤال لماذا يعجز المخلوق عن أن يتيح لله مجالاً كافيًا للتعبير عن محبّته اللامتناهيّة؟

١- لأنّ المخلوق محدود في الاستيعاب والقبول، إذ إنّ الله، مهما بذل من محبّة وأفاضها على مخلوقاته، لا يستطيع أنْ يفيض علينا كلّ ما لديه من محبّة، فإنّ للمخلوق طاقة محدودة للأخذ والقبول والاستيعاب. فيكون العطاء محدودًا، لا من حيث المعطي، أي الله، بلّ من حيث القابل، أي الخليقة والإنسان. وبما أنّ الله بذلٌ وسخاء مطلقان، فمن الواضح أنّ الخليقة عاجزة عن أن تتيح لله مجالاً كافيًا لتحقيق محبّته اللامحدودة، إذ ليس في طاقة المحدود أن يستوعب اللامحدود. ومهما كثر عدد المخلوقات، تظلّ هذه الحقيقة ثابتة، إذ إنّ المحدود + المحدود لا يمكن أنْ يساوي اللامحدود. والمحبّة الإلهية اللامحدودة لا يمكن أن تعبّر عن ذاتها بطريقة مطلقة من خلال الكائنات المحدودة، أي المخلوقات.

لا يعني هذا أنّ الله لا يحبّنا، لكنّ كلّ شخص يأخذ من حبّ الله بقدر استيعابه. فلا يمكن لكوب أن يستوعب من الماء أكثر من سعته، مهما صُبّ فيه من ماء. فخلاصة القول هو أنّ المخلوق عاجز تمامًا عن أنْ يتيح لله مجالاً مناسبًا للتعبير عن محبّته اللامحدودة.

٢- لأنّ الخلق محدود في الزمن أيضًا. الخلق له بداية ونهاية. لم يكن منذ الأزل، بل ظهر في زمن ما وفي مرحلة معيّنة من تاريخ الكون. فأطرح هنا سؤالاً: هل كان الله يتمتّع بصفة المحبّة من قبل وجود الإنسان والكون؟ الجواب طبعًا: "نعم". ولكن مَنْ هذا الطرف الآخر الذي كان الله يحبّه قبل إنشاء العالم؟ فمن الضروري أن يعيش الله محبّته، سواء كان العالم موجودًا أو لم يكن. لذا يستحيل أنْ يمثّل العالم الطرف الآخر للمحبّة الإلهية، لأنّه محدود في الزمن.

٣- لأنّ الله لا يمكن أنْ يتقيّد بالخلق تقيّدًا ضروريًا. لو كان تحقيق الذات الإلهيّة مرتبطًا بالمخلوق ارتباطًا حتميًا، لَمَا كان الله إلهًا. وإنْ كان الله مقيّدًا بالمخلوق حتّى إنّ المخلوق يصبح شرطًا أساسيًا لتحقيق ذاته الإلهيّة وللتعبير عن محبّته، لا يبقى الله إلهًا. الله هو الغنيّ، أي في غنًى عن أي كائن آخر سواه، وهو المكتفي بذاته.

من الواضح ممّا سبق أنّ الله، حتّى يكون الله، يجب أنْ يتّصف بالمحبّة المطلقة، وأنّ المحبّة تقتضي الثنائيّة، وأنّ الثنائيّة على شكل إله آخر مستحيلة، إذ لا إله إلاّ الله، وأنّ الثنائيّة على الخليقة والإنسان مستحيلة، لأنّ الإنسان عاجز عن أن يمثّل الطرف الآخر للمحبّة الإلهيّة للأسباب التي عرضناها. إنّنا مضطرّون إذاً، لعجزنا عن إيجاد الثنائيّة خارج إطار الألوهيّة، إلى البحث عنها داخل إطار الله ذاته، أي في داخل إطار وحدانيّة الجوهر الإلهيّ، لا في خارجه.

هل كانت محبته قبل الخليقة منذ الأزل عاملة أم عاطلة؟ إن قلت عاطلة وتغيرت بالخليقة وأصبحت عاملة فيكون إلهاً متغيراً وفي حاجة إلى خليقته!! حاشا لله أن يكون متغيراً أو محتاجاً. إذاً لابد أن تكون وحدانيته جامعة من آب وابن وروح قدس، منذ الأزل والآب يحب الابن والابن يحب الآب، فالمحبة فيه عاملة، إذاً هو لا يتغير. «هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ»[٣٠]. خلقُ الخليقة لم يؤثر عليه لأنه في حالة اكتفاء بذاته، فهو ليس محتاجاً إلى خليقته في شيء. وكمال الصفة هي أن تكون فعل وفاعل ومفعول به. فالله سبحانه هو الحب وهو المحب وهو المحبوب منذ الأزل وإلى الأبد. فلابد أن تكون وحدانيته الوحدانية الجامعة حتى تكون صفاته عاملة منذ الأزل.

خامساً: الإنجيل يؤكد وحدانية الله:

الإنجيل يؤكد وحدانية الله وإليك هذه الأدلة:

١) الرب يسوع المسيح يعلن بفمه هذا الإيمان، عندما سأله أحد الكتبة[٣١]: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ...فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: جَيِّداً يَا مُعَلِّمُ بِالْحَقِّ

---

[٣٠] الإنجيل، رسالة الرسول بولس للعبرانيين الأصحاح ١٣ الآية ٨.

[٣١] أحد اليهود العارفين بالتوارة.

قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ»[٣٢]. وهي نفس ما قاله الله فـي التـوارة سفر التثنية «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِد»[٣٣].

٢) والرسـول بولس يقول في حديثه بالوحي المقدس لكنيسة رومية «لأَنَّهُ لا فَـرْقَ بَـيْنَ الْيَهُودِيِّ وَالْيُونَانِيِّ لأَنَّ رَبّـاً وَاحِداً لِلْجَمِيعِ غَنِيّاً لِجَمِيعِ الَّـذِينَ يَدْعُونَ بِهِ»[٣٤].

٣) الرسول يعقوب يقول بالوحي المقدس ويعلن نفس الإيمان: «أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَناً تَفْعَلُ»[٣٥]. فنصوص التوارة والإنجيل تعلن هذا الإيمان أن الله واحد أحد صمد وهو إلهنا لا إله إلا هو الصمد القيوم، لا شريك له.

❖ ملاحظة هامة

هناك بعض الأشخاص تسمى «إلهًا» من الله ذاته كموسى، دلالة على نيابتـه عن الباري لدى فرعون[٣٦]، وكذلك القضاة تسموا «آلهة» لكونهم ينفذون مقاصد الله[٣٧]. أما «الأصنام»، «والبطن»، «والمال»، فقد سميت بذلك نظراً لاتخاذ بعض الناس إياها آلهة كقول الإنجيل: «الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ الَّـذِينَ إِلَهُهُـم بَطْـنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ»[٣٨]. والشيطان تسمى «إلهًا» لتسلطه على العالم الحاضر كقول الإنجيل: «الَّذِينَ فِيهِم إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ صُورَةُ

---

[٣٢] الإنجيل، إنجيل الرسول مرقس الأصحاح ١٢ الآيات ٢٩و٣٢.

[٣٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاح ٦ الآية ٤.

[٣٤] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ١٠ الآية ١٢.

[٣٥] الإنجيل، رسالة الرسول يعقوب الأصحاح ٢ الآية ١٩.

[٣٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر الخروج الأصحاح ٧ الآية ١.

[٣٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور٨٢ الآية ٦، والإنجيـل، رسـالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ١٢ الآية ٢.

[٣٨] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل فيلبي الأصحاح ٣ الآية ١٩.

الله»[٣٩]. ومن هنا يتضح معنى كلمة إله وهو سلطان مؤقت لعمل وزمن معينين.

ويجب أن نلاحظ الفرق بين «الله» و «إله». قال في الكليات: «إن اسم الله يُطلق إلى غيره تعالى، إذا كان مضافاً، أو نكرة». فقال الله لموسى «أنَا جَعَلْتُكَ إلهاً لِفرْعَونَ»[٤٠]. فخصّصه بفرعون ليوقع عليه الضربات بأمر الله، فيقع الرعب في قلب فرعون منه. إن وحدانية الله تعلم الاحتراز الكلي من تصور وجوده تعالى جزئياً في السماء، وجزئياً على الأرض. لأنه إله واحد، غير متجزئ، وموجود بكماله في كل مكان كقول الله: «أَلَعَلِّي إلهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ وَلَسْتُ إلهاً مِنْ بَعِيدٍ. إذَا اخْتَبَأَ إنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا؟ يَقُولُ الرَّبُّ، أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟ يَقُولُ الرَّبُّ»[٤١].

يسمى الله أحياناً الإله الحي الحقيقي، فهو الحي لثلاثة براهين:

١- لكونه ذا حياة في ذاته منذ الأزل وإلى الأبد، فقد علم يسوع هكذا قائلاً: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ»[٤٢].

٢- كما أنه ينبوع الحياة لمخلوقاته، فالإنجيل يقول: «لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ...»[٤٣].

٣- ومتميز عن آلهة الوثنيين التي ليس لها حياة، «أَصْنَامُهُمْ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ عَمَلُ أَيْدِي النَّاسِ. لَهَا أَفْوَاهٌ وَلا تَتَكَلَّمُ، لَهَا أَعْيُنٌ وَلا تُبْصِرُ. لَهَا آذَانٌ وَلا تَسْمَعُ، لَهَا مَنَاخِرُ وَلاَ تَشُمُّ. لَهَا أَيْدٍ وَلا تَلْمِسُ، لَهَا أَرْجُلٌ وَلا تَمْشِي، وَلا تَنْطِقُ بِحَنَاجِرِهَا. مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا»[٤٤].

---

٣٩ الإنجيل، رسالة الرسول بولس الثانية لأهل كورنثوس ألأصحَاحُ ٤ الآية ٤.

٤٠ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر الخروج ألأصحَاحُ ٧ الآية ١.

٤١ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إرميا ألأصحَاحُ ٢٣ الآية ٢٣و٢٤.

٤٢ الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا ألأصحَاحُ ٥ الآية ٢٦.

٤٣ الإنجيل، سفر الأعمال ألأصحَاحُ ١٧ الآية ٢٨.

٤٤ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ١١٥ الآيات ٤-٧.

٤ – كما أنه الإله الحي الحقيقي تمييزاً لعزته الإلهية، عن الآلهة الكذبة التي هي ليست بآلهة البتة، «...أمَّا الرَّبُّ الإلهُ فَحَقٌ. هُوَ إِلهٌ حَيٌّ وَمَلِكٌ أَبَـدِيٌّ. مِـنْ سَخَطِهِ تَرْتَعِـدُ الأَرْضُ، وَلاَ تَطِيقُ الأُمَمُ غَضَبَهُ»[٤٥].

❖ **ماذا نتعلم من ذلك؟**

١. إن الإله الحي الحقيقي، يحب أن تُقدم له الذبائح الحيَّة، المقدسة، المرضية، لـه تعالى: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَـقْلِيَّةَ»[٤٦].

٢. عـدم قبوله مجرَّد العبادة له بالشفاه، وضرورة الاقـتراب منـه بنقـاوة القـلب، والنية الخالصة لله، «مَنْ يَصْعَـدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِباً»[٤٧]. لكي يكون سجودنا له بالروح والحق، «اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»[٤٨]، و«هَا قَدْ سُرِرْتَ بِالْحَقِّ فِي الْبَاطِنِ، فَفِي السَّرِيرَةِ تُعَرِّفُنِي حِكْمَةً»[٤٩].

---

[٤٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إرميا اَلأَصْحَاحُ ١٠ الآية ١٠، قارن مع سفر إرميا اَلأَصْحَاحُ ١٠ الآيات ٣–١٥.

[٤٦] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية اَلأَصْحَاحُ ١٢ الآية ١.

[٤٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ٢٤ الآية ٣و٤.

[٤٨] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا اَلأَصْحَاحُ ٤ الآية ٢٤.

[٤٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ٥١الآية ٦.

الفصل الثاني

ما هي نوع وحدانية الله؟

هل هي مجردة مطلقة أم جامعة مانعة؟

وحدانية الله ليست مجردة أو مطلقة، بل أنها وحدانية كثرة، أو التعبير الأفضل وحدانية جامعة.

❖ أدلة نقلية على وحدانية الله

فإن معظم الفلاسفة كانوا قد أدركوا أن وحدانية الله جامعة مانعة. وإليك الاقتباسات التالية خير شاهد على ذلك:

١.) فلاسفة اليونان:

قال أفلاطون[٥٠]:«الله واحد لا شريك له، وإلا لَحدَّ الشريك من سلطته، التي لا يثبت له الكمال إلا إذا كانت لا حد لها...الله جميل حكيم خيِّر، جامع لكل المحامد».

وقد قال أفلوطين[٥١] لإثبات دلالة هذه العبارة، على أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة، بالقول: «إله أفلاطون ليس وحدة مطلقة، لأنه مؤلف من الانسجام والجمال والحقيقة، وإن كان الكل واحداً».

وقال أرسطو[٥٢]: «الله هو الكل،...الله عقل وعاقل ومعقول». وقال أيضاً: "مما يدل على وحدانية الله، انتظام العالم وتناسق حركاته».

أكسينوفان[٥٣]: قال: "لا يوجد إلا إله واحد" وقال أيضا: "لو كان لله شريك

---

٥٠ أفلاطون (باليونانية: Plátōn Πλάτων) (عاش بين ٤٢٧ ق.م – ٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني قديم، وأحد أعظم الفلاسفة الغرب.

٥١ أفلوطين Plotinus زاهد وصوفي وفيلسوف اغريقي ولد في مصر عام ٢٠٤ م. يعتبر مؤسس الافلاطونية الحديثة.

٥٢ أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ قبل الميلاد) فيلسوف يوناني.

٥٣ الفيلسوف أكسينوفان ٥٧٠-٤٨٠ق.م كان يمتلك وعياً تاريخياً حينما انتقد هوميروس وهزيود

لما استطاع أن يفعل كل ما يريد"[٥٤].

مليسوس[٥٥]: قال:"اللامتناهي واحد فقط، إذ يمتنع أن يكون هناك شيء خارج اللامتناهي".

٢.) فلاسفة اليهود:

قال فيلون[٥٦]: «الله يتصل بالناس بواسطة كلمته، فيساعدهم ويثيبهم ويعاقبهم». وقال: «الله واحد لا شريك له». قد علق أفلوطين بالقول: «إله فيلون ليس وحدة مطلقة، لأنه متصل ببني الإنسان، يساعدهم ويكافئهم».

وسيمون بن يوشي قال بصراحة: «إن كلمة الله (أو إلوهيم) تدل على أنه جامع». وموسى بن ميمون: قال:"الله واجب الوجود بالبرهان، وهو واحد لا شريك له".

٣.) فلاسفة المسيحيين:

قال نقولا دي كوسا[٥٧]: «الله الموجود الأعظم اللامتناهي، حاوٍ لكل وجود، فهو الأشياء جميعاً في حال الوحدة والانطواء».

وقال مالبرانش[٥٨]: «نرى في الله المعاني الجزئية والكلية والمبادئ

لأنهما نسبا إلى الآلهة ما كان من شأن البشر، وأكد أن الناس هم الذين يصنعون آلهتهم فيصورهم كلاً حسب حاله،

٥٤ رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة ط٢، ١٩٦٧ ص٨٧.

٥٥ پارمنيدس. زنون. مليسوس، الكاتب: ويليام كيث چيمرز گاثري، ترجمة: مهدي قوام.

٥٦ يعدُّ فيلون أشهر ممثِّل للفكر اليهودي، امتدَّ عمره ثمانين عاماً – من سنة ٤٠ قبل الميلاد، إلى سنة ٤٠ بعد الميلاد – وقد عاش في الإسكندرية.

٥٧ نقولا دي- كوسا (١٤٠١م-١٤٦٤م) أديب كما يهواه الإنسانيون ورياضي وفيلسوف وصوفي ولد بمدينة كوسا من أعمال ألمانيا.

٥٨ مالبرنش الأوراتوري (نسبة إلى سلك الرهبنة الأوراتوري) وتلميذ ديكارت، أراد في كتاب 'بحث في الأخلاق' عام ١٦٨٤ إكمال لخلاقية ديكارت.

الضرورية».

وقال بوهمي: «لابد أن يكون الله منطويًا على كثرة هي الينبوع الخفي للحياة الكلية، إذ كيف يمكن تفسير الكثرة (الموجودة في العالم) بالوحدة المطلقة، وليس في الوحدة المطلقة شي تريده، مادامت وحدة مطلقة».

قال وورد: «لا يمكن جعل المطلق نقط الابتداء، ولذلك فالأفضل فرض وجود إله جامع».

قال سانتيلا بصراحة تامة: «إن وحدانية الله ليست وحدانية مطلقة، فقال: «كيف يتصور صدور الكثرة باختلاف أنواعها من الأحدية البسيطة المتعالية عن كل كثرة! إن الأمر لا يخلو أن يكون أحد حالين: إما أن يُقال إن الكثرة كانت مكنونة في ذات الأول المحض، كما قال بعض الصوفيين إنها كالشجرة في النواة، وإما أن يقال إن الكثرة لم يكن لها أثر ولا رسم في ذات الله، وكيف يتصور حينئذ أن تكون علة الكثرة».

فكتور كوزان[٥٩] قال: «لما كان الله غير متناه، كان هو الموجود الأوحد»[٦٠].

توما الأكويني[٦١]: قال: «لو كان هناك إلهان لوجب أن يتمايزا فيما بينهما، فيصدق على الواحد شيء لا يصدق على الآخر، وكان أحدهما تبعا لذلك عادماً كمالاً، فلا يكون إلهاً»[٦٢].

---

٥٩ فكتور كوزان (١٧٩٢-١٨٦٧) كان في فرنسا.

٦٠ نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان، سامي النشار، دار نشر الثقافة في الإسكندرية، ١٩٦٤.

٦١ القديس توما الأكويني فيلسوف ولاهوتي إيطالي كاثوليكي شهير، ولد في روكاسكا قرب أكوين عام ١٢٢٥، وتوفي في ١٢٧٤. هو أحد علماء الكنيسة الثلاثة والثلاثين، اعتبرته الكنيسة عالمها الأعظم، وظلت فلسفته المدخل الفلسفي الأساسي لمقاربة فكر الكنيسة الكاثوليكية. وهو حامي الجامعات والكليات والمدارس الكاثوليكية.

٦٢ توما الأكويني. موسوعة الفلسفة- الجزء الأول. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ترتليان[٦٣] قال: «إذا لم يكن الله واحداً لا يكون هو الله، لأن الله لا يكون إلاّ فريداً في العظمة. ولا يكون فريداً في العظمة إلا من لا مساوٍ له، ومن لا مساوٍ له لا يكون إلا واحدا منفرداً».

٤.) فلاسفة المسلمين:

غالبية فلاسفة المسلمين يعتقدون أن وحدانية لله جامعة أو جامعة مانعة، إنما كانوا يدعونها «الوحدانية المطلقة» كما يتضح مما يلي:

قـال ابن سينا[٦٤]:«للكون إله واحد هو على كل شيء من عداه وما عـداه من موجودات علوية وسفلية». وأضاف قائلاً: «الله علم وعالم ومعلوم، وعقـل عاقل معقول، وعشق وعاشق ومعشوق» (وأليس هذا الوصف وحده، يدل على أن وحدانية الله هي جامعة مانعة؟).

قـال الفارابي[٦٥]:«الله واحد واجب الوجود (أي ليس معلولا بعلة)». وأضاف قائلاً «لحظت الأحدية نفسها فكانت قدرة، فلحظت القدرة فلزم العلم الثاني المشتمل على الكثرة. وهناك أفق عالم الربوبية يليه عالم الأمر، يجري به القلم على اللوح فتتكثر الوحدة».

ونحن نتساءل: كيف تلحظ الذات ذاتها وتتجلى لها، ولا تكون لها علاقة بينها وبين نفسها! وكيف تكون لها علاقة بينها وبين نفـسها، ولا تكـون وحـدانيتها وحدانية جامعة!

---

٦٣ اسمه الكامل كوينتوس سبتيموس فلورنس ترتلّيانوس وُلد في عائلة وثنيّة، سـنة ١٥٦م، وفـي مدينة قرطاجة (تونس).

٦٤ ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، اشتهر بالطب والفلـسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) الفارسية قرب بخارى (في أوزبكستان حاليا) سنة ٣٧٠هـ (٩٨٠م) وتوفي في همذان سنة ٤٢٧هـ (١٠٣٧م).

٦٥ أبو نصر محمد الفارابي (ولد عام ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م في فاراب وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر وهي جزء مما يعرف اليوم بتركستان وتوفي عام ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م) فيلسوف.

ملاحظه القلم في نظر الفارابي: هو ملك روحاني. وفي نظر ابن سينا هو العقول التي تدير الأفلاك. وفي نظر الشيخ الإمام إبراهيم البيجوري[٦٦]، هو جسم نوراني خلقه الله، وأمره بكتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وقال أيضاً: «الوحدانية الشاملة هي وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال».

وقال الإمام الغزالي[٦٧]: «من ذهب إلى أن الله لا يعقل نفسه، إنما خاف من لزم الكثرة»[٦٨]. فعقل لله لنفسه يدل على تميزه بكثرة، أو بتعبير آخر على أن وحدانيته هي وحدانية جامعة.

ابن مسكوية[٦٩] قال: «الصانع واحد واجب الوجود»[٧٠].

وأخيراً قال الأستاذ سلامة الشافعي: «ولا تظن أن معنى كونه تعالى واحداً، هو كمعنى قولك إن زيداً شخص واحد لا اثنان، فإن هذه الوحدة يوصف بها كل ما هو موجود من الذوات، والمعاني المتمايزة يعرفها كل أحد لكل أحد ولا ينازع فيها عاقل، والإيماء بها في الخالق عز وجل، لا يخلص من شرك ولا ينجو من كفر. وإنما معنى الوحدانية في الله: هو أنه واحد في

---

[٦٦] حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري على شرح الغزي. تأليف :إبراهيم بن محمد البيجوري. ترجمة، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية تاريخ النشر يناير ١٩٩٩.

[٦٧] الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي الطوسي ولد في مدينة طوس في خراسان فيّ حدود عام ٤٥٠هـ. عالم وفقيه ومتصوف إسلامي. أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين في التاريخ الإسلامي.

[٦٨] "بشرح إحياء علوم الدين" شرح العلامة الزبيدي الملقب بمرتضى في عشرة مجلدات، المطبعة الميمنية بمصر، عام ١٣٣١هجرية.

[٦٩] أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه أكثر من أربعين كتاباً. أبرزها كتابه الهام "تجارب الأمم" المطبوع في طهران بتحقيق وتقديم أبي القاسم إمامي. وقد عاش مسكويه قرناً كاملاً (٣٢٠-٤٢١هـ).

[٧٠] مسكويه، تجارب الأمم، تحقيق أبي القاسم امامي، طهران ٢٠٠١.

وجوب الوجود وفي سائر الكمالات اللائقة به»[٧١]. أي أن وحدانيته تعالى هي الوحدانية الجوهرية، ليس الوحدانية الشكلية، أو كما نقول نحن: **هي الوحدانية في اللاهوت** وليس في التعين. ولعل الأستاذ الشافعي قد تجنب البحث في تعين الله أو وحدانية الشكلية، لأنه رأى أنها تفوق العقل والإدراك وحقاً إنها كذلك!

تعليقنا: ويبدو لنا أن السبب الذي دعا معظم الفلاسفة المسلمين إلى الجزم بأن وحدانية الله هي وحدانية كثرة، أو بتعبير آخر وحدانية جامعة، يرجع إلى أن الإسلام يسند إلى الله صفات وأسماء كثيرة، **هي: «أسماء الله الحسنى». ومن بين هذه الأسماء «الجامع»**. وكلمة الجامع، إذا نظرنا إليها في ذاتها، وجدنا أنها لا تدل فقط على أن الله جامع للناس، بل أيضا على أنه شامل لكل ما هو لازم لكماله واستغنائه بذاته عن كل ما في الوجود.

وما الأسباب التي تقودنا إلى الإيمان بأن وحدانية الله وحدانية جامعة؟

لا تكون الذات الإلهية كاملة إلا إذا كانت جامعة لكل الخصائص اللازمة لوجودها، واستغنائها بذاتها عن كل شيء في الوجود. لا يمكن أن يكون العالم قد صدر من إله مجرد أو مطلق، لأن مثل هذا الإله لا يصدر عنه شيء بالإرادة[٧٢]. وإن صدر عنه شيء كان ذلك بالضرورة. وفي هذه الحالة يتعرض للتفكك، والله لا يتفكك لأنه لا تركيب فيه. يدل التنوّع أو التعدّد الموجود في العالم على أن لله ليس إلها مجرداً أو مطلقاً، بل أنه إله جامع أو شامل لكل ما يمكن أن نتصوره أو لا نتصوره من إدراكات ومعان.

❖ توضيح التوافق في الوحدانية الجامعة المانعة

يتضح مما سبق من الأدلة العقلية والنقلية، أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة أو شاملة مانعة، ومع ذلك للإيضاح نذكر مثلاً: إذا وصف الإنسان مثلاً

---

٧١ كتاب "الله" لعوض سمعان.

٧٢ لأن وجود الإرادة يتعارض مع ما للوحدانية المجردة أو المطلقة من خصائص.

بأنه واحد وثلاثة، فإن هذا الوصف يبدو لأول وهلة متعارضاً، لأنه لا يمكــن أن يكون شخص بعــينه واحداً وثلاثة. لكن إذا تبيّن لنا أنه يقصد بهذا الوصـــف أن الإنسان واحد من جهة المظهر وثلاثة من جهة الكيان، فإن الشك في صحة هــذا الوصف يــزول، لأننا نعلم أن الإنسان واحد في مظهره، وفي الوقت نفسه هــو كيانياً مكّون من ثلاثة عناصر، هي: الجسد والنفس والروح.

على هذا القياس مع مراعاة الفارق الذي لابد منه بــين الوحدانيــة الإلهيــة والوحدانية البشرية (فوحدانية الإنسان مركبة، أما وحدانية الله فغير مركبة. هــذا علاوة على أن الله هو الخالق والإنسان هو المخلوق). نقول: إن الله واحداً مــن جهة الجوهر[٧٣] لأنه إن لم يكن واحداً من هذه الجهــة، كــان مركبــاً وقــابلاً للتجزئة، وهو ليس مركباً أو قابلاً للتجزئة. ويكون جامعاً من جهــة التعــيّن [أو الظاهرية بحسب ابن العربي[٧٤]، الــقول بالظهر والباطن ليس من تــأليف ابــن العربي بل أقتبسه من القرآن «**هو الأول والآخر والظاهر والبطن**»[٧٥].

لأن أتصاف الله بصفات واختصاصه بعلاقات بينه وبين ذاته منذ الأزل، يدل بوضوح أنه جامع من هذه الجهة. ويتفق معنا على ذلك ابن العربي بقولــه: «**لا كثرة في الهوية ذات الحق، وكل كثرة واختلاط (أو علاقات)، فهو بعــد ذاتــه وظاهريته**».

مما سبق يتضح لنا ما يأتي:

بما أنه لا يراد بوحدانية الله الجامعة أنه واحد في تعيّنه وجامع أيضا في تعينه، بل يُراد بها واحد في جوهره وجامع في تعينه، إذا ليس هناك أي تناقض في القول وحدانيته هي وحدانية جامعة. يتفق معنا صاحب المواقف: «**لا يجوز**

---

٧٣ والهوية والباطنية بحسب قول ابن العربي«فصوص الحكم».

٧٤ «فصوص الحكم»، لمحيي الدين ابن عربي، المحقق: الدكتور عاصم كيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠٠٣م.

٧٥ القرآن، سورة الحديد٥٧ الآية ٣.

اجتماع الوحدة مع الكثرة في شيء واحد من جهة واحدة»[٧٦]. ومع ذلك يجوز اجتماعها معاً في شيء واحد من جهتين.

بما أنه لا يُراد بوحدانية الله الجامعة أنه جامع في جوهره وواحد في تعينه، بل العكس يُراد بها أنه واحد في جوهره وجامع في تعينه، إذاً لا سبيل للظن بأنها تدل على وجود أي تركيب في ذاته.

وبما أنه لا يُراد بجامعية تعينه، ذاته وغيرها من الذوات، بل يُراد بها ذاته وحدها، إذاً لا سبيل للظن بأن هذه الوحدانية تدل عن وجود أي شريك له. وبذلك فإن وحدانية الله الجامعة لا تتعارض مع عدم وجود تركيب فيه، أو مع تفرده بالأزلية، بل تتوافق مع هاتين الحقيقتين كل التوافق.

---

٧٦ "المواقف" لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري المتصوف العراقي، الناشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: ١٩٩٧م، (ص٣٤٢).

الفصل الثالث

ما هي الوحدانية اللائقة بالله؟

إن الوحدانية اللائقة بالله هي الوحدانية الجامعة، وليست الوحدانية المحضة التي تطلق على شيء في حالة الجهل بالشيء أو الجهل الحقيقي بالوحدانية على بعض المخلوقات، إليك بعض الأمثلة من الكائنات لنتأمل فيها ونعرف وحدانيتها:

١) **إذا نظرنا إلى قطعة من الجماد كالحديد مثلاً**، وجدنا أن لها وحدة، لأنه ليس فيها غيرها، من حيث كونها قطعة من الحديد. لكن ما أتفه وحدتها هذه، وما أقل مميزاتها، لأنه ليس بينها وبين ذاتها نسب أو علاقات تجعل لها كياناً خاصاً يميزها من الناحية النوعية عن غيرها من الحديد الذي تنتمي إلى فصلته.

٢) **وإذا انتقلنا لمملكة النبات ونظرنا إلى الطحلب مثلاً**، وجدنا أنه لا يقوم بمميزات واضحة، لأنه لا يمكن التمييز بين مستعمرة وأخرى من فصيلته، إلا بالمجهر. ولذلك كان الطحلب نباتاً دنيئاً (بالنسبة للنباتات الراقية). ووحدانيته تافهة أو غير ظاهرة. أما إذا نظرنا إلى الأشجار فإننا نجد أن كل شجرة قائمة بمميزات واضحة، وأمكننا تبعاً لذلك أن نميز بين كل شجرة وغيرها من فصيلتها ومن الفصائل الأخرى بكل سهولة. ولذلك كانت الأشجار نباتات راقية، وكانت وحدانية كل منها ظاهرة أو سامية.

٣) إذا تركنا بقية الخليقة التي تبرهن على وحدانية الله الجامعة، ونظرنا إلى البشر قمة الخليقة، **وجدنا أن كل إنسان قائم بمميزات واضحة**، وهذه المميزات نوعان: **مادية ومعنوية**. فالأولى تبين وحدانية الشكلية، وتميزه عن غيره من البشر من الناحية الجسدية. والثانية تبين وحدانية المعنوية أو بالأحرى شخصيته التي هي الجوهر الحقيقي لإنسانيته، وتميزه عنهم من الناحية العقلية والروحية. ولذلك حتى إذا أتفق بعض الناس في المميزات الشكلية تظل لكل منهم شخصيته، التي لا يشاركه فيها غيره. لهذا السبب كنت الوحدانية الإنسانية أسمى من

وحدانية أي مخلوق من المخلوقات.

والخلاصة أن لكل وحدانية حقيقية مميزات تعينها، وأن أرقي أنواع المميزات هي العقلية والروحية. وهذه المميزات لا توجد إلا في أرقي الكائنات وأسماها. وكل وحدانية سواء مادية كانت أو روحية، تقوم بمميزات تنشأ بينها وبين ذاتها نسَب أو علاقات، وأن هذه المميزات هي التي تبيّن حقيقة وحدانيتها. فإن كان الله واحداً قائماً بذاته، ألا يكون أيضاً متميز بمميزات خاصة، تدل إلى حقيقة وحدانيته، وتنشأ أيضا بسببها علاقات بينه وبين ذاته؟ أو بتعبير أدق، ألا تكون ذاته عينها مع وحدانيتها وعدم وجود أي تركيب فيها، تتميز بمميزات خاصة، تنشأ بسببها علاقات بينها وبين نفسها؟

والجواب: طبعاً نعم، وإليك الأدلة على أن وحدانية الله تتميز بمميزات خاصة:

❖ المميزات الخاصة بوحدانية الله

لله تعيّن خاصة. وكل كائن له تعيّن خاص له مميزات تبين حقيقته. فمن المؤكد أن تكون لله مميزات (أو متميزاً بمميزات). تبين حقيقته. بما أن صفات الله لم تكن عاطلة أزلاً ثم صارت عاملة عندما خلق، بل كانت عاملة أزلاً قبل وجود أي كائن من الكائنات، لأن هذا يتناسب مع ثباته وعدم تعرضه للتغير، كما ذكرنا سابقاً.

❖ أمثلة منطقية:

١. العدالة تدل على التعادل[٧٧]، والتعادل في الكائن الفرد معناه التوافق والانسجام. لذلك أتصاف الله بالعدالة أزلاً يدل على وجود توافق وانسجام بينه وبين ذاته. ووجود توافق أو انسجام بينه وبين ذاته يدل على وجود علاقات بينه وبين ذاته.

---

[٧٧] كما يقول أفلاطون.

٢. المحبة صفة تدل على وجود روابط بين اثنين على الأقل، أحدهما محب والآخر محبوب. ولذلك فأتصاف الله بالمحبة أزلاً، يدل على وجود علاقات خاصة بينه وبين ذاته، وهكذا الحال مع باقي الصفات.

لأن الله محبة، هو المحبة في أعلى صورها، وهذه المحبة تعود إلى كينونته فهو يمارس الحب منذ الأزل وإلى الأبد، ولا يمكن أن تكون هذه الصفة قد أضيفت إليه في وقت من الأوقات، وإلا فإنه يكون قد تغير- وحاشا لله أن يتغير- . ولابد لكي يمارس أحد الحب أن يكون هناك محبوب، ولذا فالسؤال هو يا ترى من الذي كان يحبه الله قبل خلق الإنسان والعالم والخليقة؟ هل يوجد أزلي آخر غير الله، حاشا؟ ولذا لابد أن يكون هذا الحب موجها إلى أقنوم آخر في جوهره الواحد، ولذا نستطيع أن نقول أن الله مكتفي بذاته من خلال أقانيمه فأقنوم الآب يحب اقنوم الإبن والإبن محبوب من الآب وهكذا.

لو فرضنا أن الله لم تكن له علاقة بينه وبين ذاته أزلاً، وقلنا إن له علاقة بالخليقة لأنه الخالق والمعتني بها، لكانت النتيجة الحتمية لذلك أنه دخل في علاقة لم يكن لها أساس في ذاته أزلاً، فيكون قد تطوّر وتغيّر! وبما أنه لا يتطور ولا يتغير، إذا لا مفر من التسليم بأن له علاقة أزلية بينه وبين ذاته. لذلك فهو يتميز بميزات خاصة يمكن أن تنشأ بسببها هذه العلاقة.

والخلاصة هي أن الله مع وحدانيته وعدم وجود تركيب في ذاته يتميّز بمميزات خاصة، إذا فهذه المميزات لا يمكن أن تكون غير ذاته، لأنه لا شريك له. ولا يمكن أن تكون عناصر أو أجزاء في ذاته، بل أن تكون هي عين ذاته، لأنه لا تركيب فيه. ولا يمكن أن تكون مادية بل أن تكون روحية، لأنه لا أثر للمادية فيه. ولا يمكن أن تكون محدودة بأي نوع من الحدود، بل أن تكون منزّهة عن الحدود، لأن ذاته لا يحدّها حدّ.

وحدانية الله لا يمكن أن تكون وحدانية مجردة من الصفات الإيجابية، أو وحدانية مطلقة لا مجال لوجود صفاتها بالفعل أزلاً. بل لابد أن تكون وحدانية

تتصف بكـل الصفات الإيجابية اللائقة بها، وأن تكون هذه الصفات ليس بـالقوة بل بالفعل أزلاً. وبتعبير آخر لابد أن تكون وحدانية الله ذات كيـان حقيقـي، أو وحدانية لها، مميزات خاصة بها، تنشأ بسببها بينه وبين ذاتها علاقات خاصة منذ الأزل إلى الأبد، بصرف النظر عن وجود المخلوقات أو عدم وجودها.

❖ **المشكلات والحلول المقترحة**

أما الذين لا يفهمون معنى كون وحدانية الله جامعة مانعة، ومعني تميـز الله بمميزات له بها علاقات بينه وبين ذاته أزلاً، فيظنون أن تلك الوحدانية تتعارض مع عدم وجود تركيب فيه، وأن هذه العلاقات تتعارض مع تفرّده بالأزلية. وفيما يلي بعض المشكلات وحلولها:

المشكلة الأولى: «لا تقوم للعلاقات قائمة إلا بين اثنين على الأقل، والله هو الأزلي وحده. فليس من المعقول أن تكون له أصلاً أو أزلاً أيـة علاقـة مـن العلاقات. وبناء علي رأيهم لا تكون لذاته مميزات خاصة بها».

الحل: ليس للكائن العاقل علاقة مع غيره فحسب، بل له أيضًا علاقـة بينـه وبين ذاته. فالأولى اكتسابية أو غير أصلية، أما الثانية فذاتية أصلية. وليس هناك شيء في الوجود لا علاقة له بينهُ وبين ذاته، أو بينـه وبـين غيـره إلا غيـر الموجود، لأنه لا يتميز بميزة تدل على أنه له كيان خاصًا، وبمـا أن الله كـائن عاقل لا نهائياً، له كيانه الخاص ووجوده الحقيقي الواقعي، إذا فوجود علاقـات بينه وبين نفسه أمر يتطلبه وجوده ذاته. لأنه لا سـبيل لوجـود العلاقـات فـي وحدانية مجردة من المميزات.

المشكلة الثانية: «يدل تميز الله بمميزات خاصة على قيامه بكثرة، والحـال أنه ليس به كثرة ما».

الحل: ليست المميزات التي يتميز بها الله عناصر أو أجزاء فيـه، أو أمـوراً مقترنة به، بل هي عين ذاته المتميزة بكل ما هو لائق بكمالها واسـتغنائها عـن غيرها، لأنه لا تركيب فيه. فالمميزات المذكور ليست كثرة بالمعني المعـروف

في الكائنات، بل هي الخصائص الأصلية الذاتية لله، والتي بدونها لا يكون إلهاً حقيقياً، بل إلهاً وهمياً، إلهاً كانت صفاته عاطلة أزلاً. وهذا يتعارض مع كماله واستغنائه بذاته عن كل شيء في الوجود، وعدم تعرّضه للتطوّر والتغير.

المشكلة الثالثة: «لا يصح اتّخاذ العلاقات الموجودة بين الكائنات العاقلة وبين ذواتها دليلاً على وجوب علاقات لله بينه وبين ذاته، لأنه لا يصح تطبيق صفات المخلوق على الخالق».

الحل: إننا لم نفعل ذلك إطلاقاً، بل استنتجنا وجود علاقات لله بينه وبين ذاته من عدد أدلة منها على سبيل المثال: أتصافه بالصفات الإيجابية وممارسته لها أزلاً، قبل وجود أي كائن سواه، الأمر الذي يتطلب كماله المطلق، واستغناؤه بذاته عن كل شيء في الوجود.

من إعلان الله نفسه عن ذاته من خلال الإنجيل يقول: «**وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ«...فَكَانَ نُورٌ...وَقَالَ اللهُ: « نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ...**»[٧٨]. لاحظ قال لمن؟ ولم تكن هناك خليقة، بل الكلمات «**نعمل...صورتنا...كشبهنا**» دليل إلى وجود العلاقات. وهذه العلاقات الموجود هي حقيقة ثابتة مُدركة لدينا تماماً، لا سبيل لإنكارها.

بالرغم من أنه لا يصح اتّخاذ العلاقات الموجودة بين الكائنات العاقلة وبين ذواتها دليلاً على وجوب علاقات لله بينه وبين ذاته، لأنه لا يصح تطبيق صفات المخلوق على الخالق، إلا أنه عكس ذلك يتفق مع قول **التوراة**: «**وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا**»[٧٩]. ففي الإنسان نري صورة الله. دون أن نرسم صورة لله، لأن هذا خطأ.

---

[٧٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاحُ ١ الآيات٣و٦و٩و١١و١٤و٢٠ و٢٦.

[٧٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاحُ ١ الآية ٢٦.

والآن لاحظ أن لله خصائص (أو مميزات أو صفات أو تعين)، لا يشاركه فيها الإنسان، مثال أن الله غير محدود، وصفاته هكذا، لكن الإنسان محدود، وصفاته كذلك. الله سرمدي، ولكن الإنسان غير سرمدي. الله غير متغير، ولكن الإنسان متغير. هذه الصفات «**غير قابلة للانتقال**»، لأنها تخص الله وحده، ولا يعطيها لأحد سواه، بل يحتفظ بها لنفسه فقط.

ولكن لاحظ أن هناك خصائص لله يشاركه فيها الإنسان، مثال ذلك الوجود والحكمة والقدرة، لأنه أعطي أيضا للإنسان، لأن هذه الصفات أو الخصائص أو المميزات تسميها «**خصائص قابلة للانتقال**»، وذلك ليكون مشابها له.

أخير عندما نتحدث عن الصفات القابلة الانتقال، أنه هناك فرق بين وجودها في الله، بشكل غير محدود، وغير متغير، لكن في الإنسان محدودة ومتغيرة، كمثال الإنسان وصورته في المرآة، فالأول حقيقي والثانية غير حقيقية، فهذه الخصائص في الله أسمي مما في الإنسان.

الفصل الرابع

هل التوارة تعلم عن وحدانية الله؟

عقيدة وحدانية الله مؤكدة عبر التوارة (العهد القديم)، والتعبير عليهـا يتـضح في:

أ- النبي موسى يقول:

١- «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ..لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» [٨٠].

٢- «إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ»[٨١].

٣- «فَاعْلَمِ اليَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِـنْ فَـوْقُ وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ» [٨٢].

٤- «إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» [٨٣]؛

٥- «اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي» [٨٤]؛

ب - أنبياء إسرائيل يقولون:

٦- «لِذَلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلَـهٌ غَيْـرَكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا» [٨٥].

٧- «وَصَلَّى حَزَقِيَّا...وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، الْجَالِسُ فَوْقَ الْكَرُوبِيمَ، أَنْتَ هُوَ الإِلَهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ» [٨٦].

٨- « يَا رَبُّ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا!» [٨٧].

---

[٨٠] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر الخروج الأُصْحَاحُ ٢٠ الآية ٢ و٣.

[٨١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأُصْحَاحُ ٤ الآية ٣٥.

[٨٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأُصْحَاحُ ٤ الآية ٣٩.

[٨٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأُصْحَاحُ ٦ الآية ٤.

[٨٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التثنية الأُصْحَاحُ ٣٢ الآية ٣٩.

[٨٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني الأُصْحَاحُ ٧ الآية ٢٢.

[٨٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر ملوك الثاني الأُصْحَاحُ ١٩ الآية ١٥.

٩- «أَنْتَ هُوَ الـرَّبُّ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا وَالْبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ» [٨٨].

ج- النبي داود يقول:

١٠- «وَيَعْلَمُوا أَنَّكَ اسْمُكَ يَهْوَهُ وَحْدَكَ الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ» [٨٩].

١١- «أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ» [٩٠]؛

د- والنبي إشعياء يقول:

١٢- «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَـا الأَوَّلُ وَأَنَـا الآخِرُ وَلاَ إِلهَ غَيْرِي» [٩١]؛

١٣- «لاَ تَرْتَعِبُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا. أَمَا أَعْلَمْتُكَ مُنْذُ الْقَـدِيمِ وَأَخْبَرْتُـكَ؟ فَـأَنْتُمْ شُهُودِي. هَلْ يُوجَدُ إِلهٌ غَيْرِي؟ وَلاَ صَخْرَةَ لاَ أَعْلَمُ بِهَا» [٩٢].

١٤- «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ فَادِيكَ وَجَابِلُكَ مِنَ الْبَطْنِ: «أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي. بَاسِطٌ الأَرْضَ. مَنْ مَعِي؟» [٩٣].

١٥- "أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلهَ آخَـرَ غَيْـرِي؟ إِلـهٌ بَـارٌّ وَمُخَلِّـصٌ. لَـيْسَ سِوَايَ" [٩٤].

١٦- «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ» [٩٥].

---

[٨٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر أخبار الأيام الأول الأصحاح ١٧ الآية ٢٠.

[٨٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر نحميا الأصحاح ٩ الآية ٦.

[٨٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزامير ٨٣ الآية ١٨.

[٩٠] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزامير ٨٦ الآية ١٠.

[٩١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٤ الآية ٦.

[٩٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٤ الآية ٨.

[٩٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٤ الآية ٢٤.

[٩٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٥ الآية ١.

١٧- «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلاً. لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ»[٩٦].

١٨- «أَخْبِرُوا. قَدِّمُوا. وَلْيَتَشَاوَرُوا مَعاً. مَنْ أَعْلَمَ بِهَذِهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ أَخْبَرَ بِهَا مُنْذُ زَمَانٍ؟ أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟ إِلَهٌ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ. لَيْسَ سِوَايَ»[٩٧].

١٩- «الْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ»[٩٨].

٢٠- «قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلَهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ» [٩٩].

٢١- «أُذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ مُنْذُ الْقَدِيمِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي»[١٠٠].

هـ-أما النبي ملاخي يقول:

٢٢- «أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟»[١٠١].

وعموماً يمكن إيجازها تعاليم التوارة فيما يلي:

١- في العهد القديم عندما نتحدث عن وحدانية الله فهذا لا يعني الوحدة الحسابية، لكنها وحدة أوسع وأشمل من ذلك بكثير.

٢- والعهد القديم يجمع بين حقيقتين ويوفّق بينهما، فالله مرتفع سامٍ، وفي

---

[٩٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٥ الآية ٥و٦.

[٩٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٥ الآية ١٨.

[٩٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٥ الآية ٢١.

[٩٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٥ الآية ٢٢.

[٩٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٣ الآية ١٠-١١.

[١٠٠] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٦ الآية ٩.

[١٠١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر ملاخي الأَصْحَاحُ ٢ الآية ١٠.

الوقت نفسه يعمل بين البشر بطرق وتعبيرات متباينة.

٣- وتعبيرات العهد القديم عن الله يمكن أن نضعها في ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى..تُصوِّر وكأن له أجزاء كالجسم البشري، فنرى امتداد شخصية الله من خلال.. يده..عينه..زراع الرب.

والمجموعة الثانية...تقدم لنا الله وهو يتصرف وكأنه يمارس عملاً من أعمال البشر فهو يتكلم ويعمل ويفكر، لذلك فكلمة الله وروح الله وحكمة الله هي امتداد لشخصيته بين البشر. والمجموعتان الأولى والثانية هما تعبيرنا البشري وهو ما يُطلق عليه **Anthropomorphism** أو التعبير البشري لوصف الله بطريقة بشرية.

والمجموعة الثالثة...فتقدم امتداد شخصية الله خلال عمله في الأنبياء والرُسل والملائكة وأخيراً في ابنه في مستهل العهد الجديد، وهذا ما دفع كاتب رسالة العبرانيين (يهودي الأصل) إلى أن يفتتح رسالته هكذا «**اَللَّهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ. الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ**»[١٠٢]، وهو هنا يوضح قمة إعلان الله في المسيح ويوضح أن المسيح هو الله «**وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**»[١٠٣].

٤- إن وحدة الله كما نجدها في العهد القديم تُظهره واحداً في تعدد، ويمكن تشبيه هذه الفكرة بالوحدة العضوية التي نجدها في جسم الإنسان البشري أو

---

[١٠٢] الإنجيل، رسالة بولس الرسول العبرانيين اَلأَصْحَاحُ ١ الآيات ١-٤.

[١٠٣] الإنجيل، رسالة بولس الرسول العبرانيين اَلأَصْحَاحُ ١ الآية ٨.

الوحدة النفسية التي تجدها في شخص يفكر ويعمل (الجسد والنفس والروح).

٥- ونلاحظ أن المفهوم عن الله في وحدانيته بهذه الصورة إنما يترتب على الحاجة لتفسير وتوضيح كيف أن الله الذي أفكاره ليست أفكارنا وطرقه ليست طرقنا أمكنه ويمكنه أن يُعلن نفسه للبشر، فإعلان الله عن ذاته يتطلب أن تكون وحدانيته أكثر من الوحدة الحسابية وهذا ما دعي المفكرين فيما بعد لتسميتها الوحدانية الجامعة وليس المركبة.

معنى وحدانية اللّه في الإنجيل، تظهر وحدانية اللّه بوضوح من:

(أ) تعليم الإنجيل في طبيعته وصفاته، لأن الكون لا يسع آخر نظيره، ولا لزوم لغيره، فهو غير محدود في القدرة والحكمة وسائر صفاته.

(ب) من الأدلة الكثيرة على أن الكون تكوّن بفعل عقل واحد وقصد واحد، وهو أعظم وأوضح تعاليم الوحي. وكان حفظ تعليم الوحدانية بين البشر من أهم مقاصد اللّه في دعوة إبراهيم، وسنّ شريعة موسى، وجعل اليهود شعبه الخاص. وهذا عينه هو قصد العهد الجديد.

أما المقصود بوحدانية اللّه فهو أنه لا إله غيره، أي هو الوحيد في مقامه. وهذه الوحدانية لا تمنع أنه في ثلاثة أقانيم هم واحدٌ في الجوهر. ولا هي وحدة مادية، بل المقصود بها **الدلالة على أنه لا يوجد** له نظير في الألوهية مطلقاً، وأن له جوهراً واحداً غير مقسوم إلى آلهة كثيرة.

وهل في تلك الوحدانية ما يمنع أن اللّه واحد في ثلاثة أقانيم؟

وذلك لا يمنع أنه في ثلاثة أقانيم. على أننا لا نعني أنه ثلاثة بنفس معنى القول إنه واحد، بل إنه ثلاثة بمعنى، وواحد بمعنى آخر، أي ثلاثة في الأقنومية وواحد في الجوهر. وهو الإله الوحيد في الكون. وإذا قيل ليس في الكون كائن آخر هو واحد وثلاثة معاً بهذا المعنى، أجبنا إن هذا صحيح. ولما كان اللّه فريداً في الكون في طبيعته وصفاته، كان ممكناً أن يتميز عن كل ما سواه في كيفية وجوده، كما يمتاز في صفاته السامية.

شهادة القرآن بأن المسيحيين موحدون:

الواقع الغريب أن القرآن نفسه يشهد بأن المسيحيين موحدون بالله وغير مشركين بالله وأنهم ليسوا كفرة ويتضح ذلك مما يلي:

«وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ»[١٠٤]. وبهذا يشهد القرآن أننا نحن المسيحيين أهل كتاب ونعبد الله الواحد؟«مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ»[١٠٥] وفي هذا إيضاح جلى بأن أهل الكتاب (المسيحيين) يومنون بالله الواحد، ويتلون كتابه بين أيديهم في أيام النبي العربي محمد، ويسجدون لله الواحد أثناء تأدية العبادة له.

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ»[١٠٦] ويتضح من هذا أن النصاري ليسوا مشركين بالله فالمشركون واليهود هم أشد الناس عدواة للمسلمين، أما النصارى فهم أقرب الناس مودة للمسلمين.

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١٠٧] يتضح لك من هذا أيضًا أن الذين تبعوا المسيح (وهم المسيحيين) ليسوا كفرة بل أن الله يميزهم عن الكفرة ورفعهم فوقهم. فمن كل ما تقدم تأكد لك شهادة القرآن للمسيحيين بأنهم يعبدون الله الواحد ولا يشركون به.

---

[١٠٤] القرآن، سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٤٦.

[١٠٥] القرآن، سورة آل عمران ٣ الآيات ١١٣و١١٤.

[١٠٦] القرآن، سورة المائدة ٥ الآية ٨٢.

[١٠٧] القرآن، سورة آل عمران ٣ الآية ٥٥.

الفصل الخامس

هل توجد في خليقة الله فكرة التعدد في الوحدانية؟

أول عدد كامل جامع، لا يمكن لأقل منه أن تتوفر فيه خصائص الوحدانية الجامعة المانعة. وهذا العدد، كما نعلم هو ثلاثة، ويتفق معنا الشيخ محيي بن العربي على ذلك إلى حد كبير، فقد قال: «**أول الأعداد الفردية، هو الثلاثة لا الواحد، لأن الواحد ليس بعدد بل هو أصل الأعداد**»[١٠٨].

❖ **الاعتقاد العام**

أدرك القديس أوغسطينوس أنّ الله ترك آثاراً وعلامات ثلاثية في كل مكان حولنا. الأمثلة على ذلك تكثر. وهناك اعتقاد عام عندنا نحن البشر، بأن العدد (٣) هو أول عدد كامل، بل نرى في خليقة الله من حولنا فكرة الثالوث في الوحدانية، فالطبيعة من حولنا تصرخ في أساسياتها بالثلاثيات. وهناك الكثير. لكنى اخترت الأشياء الأساسية التي بدونها لا تسير الحياة مثل المياه والمادة اللتين صنعا منهما الكون:

١) الحبل المثلث لا ينقطع.

٢) وأيام العزاء هي «ثلاثة».

٣) وفي قانون العقوبات يُعتبر المجرم عائدًا يستحق عقوبة الجناية بدلاً من عقوبة الجنحة إذا ارتكب مخالفة ثلاثة مرات[١٠٩].

٤) وفي الرياضيات، أول شكل هو الذي له ثلاثة أضلاع.

٥) في المقارنات ثلاثة: فوق، وتحت، وعلى ذات المستوى.

٦) وأول حجم هو الذي له ثلاثة أبعاد (الطول والعرض والارتفاع).

٧) وفي الطبيعة، كل نبات راقٍ مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية.

---

١٠٨ فصوص الحكم ص١٣٠.

١٠٩ المادة٤٩ من قانون العقوبات.

٨) وتتكون الشجرة من جذرها، فروعها أي ساقها، وثمارها.

٩) تتألف الشمس من مادتها أي جسمها، وهجها أي ضوئها، وحرارتها.

١٠) نجد أيضا ثلاث ممالك: الحيوانية والنباتية والمعدنية.

١١) ويتألف الزمن من ثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل.

١٢) وكل حيوان راقٍ مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية.

١٣) وكل إنسان كامل مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية: نفس، وروح، وجسد.

١٤) يتطلّب الفعل الإنساني للفهم العقل، مراضيع الفهم، والإدراك أي الفهم.

١٥) العائلة ثلاثة: الأب، والأم، والأولاد.

١٦) يتطلّب الحبّ مُحبّا، محبوبا، وعاطفة الحبّ التي تضم الثلاثة في واحد.

١٧) وتتميز المادة بخواصها الثلاثة: الصلب والسائل والغازي.

١٨) الذرة مكونة من ثلاثة أجزاء (إلكترون$^{-}$ بروتون$^{+}$ نيترون) .

١٩) الكون المحيط بنا يتكون من ثلاثة: السماء والأرض والبحر.

٢٠) الألوان الرئيسية ثلاثة: أحمر، وأصفر، وأزرق.

٢١) قواعد اللغة العربية ثلاثة: ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وضمير الغائب.

٢٢) جوهر الأشياء ثلاثة: جماد، ونبات، وحيوان.

٢٣) وإذا كان لدينا إلمام بعلم تكوين الجنين (Embryology) لعرفنا أن الجنين يتكون من ثلاث طبقات، الطبقة الخارجية (Ectoderm) الإكتودرم، الطبقة الوسطى (Mesoderm) الميزودرم، الطبقة الداخلية (Endoderm) الإندودرم.

٢٤) والعقل البشري واحد لكنه مثلث التركيب، فهو يتألف من الفهم، والشعور، والإرادة...والفهم هو القوة المفكرة، والشعور هو القوة المتأثرة، والإرادة هي القوة المقررة، والقوي الثلاث في العقل الواحد.

٢٥) وفي اليهودية والمسيحية أول عدد كامل (٣)، في الاختيار «اذهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةً أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِداً مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ

بِكَ»[110].

٢٦) عند التعين «وَعَيَّنَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَظِيفَةَ كُلِّ يَوْمٍ بِيَوْمِهِ مِنْ أَطَايِبِ الْمَلِكِ وَمِنْ خَمْرِ مَشْرُوبِهِ لِتَرْبِيَتِهِمْ ثَلاَثَ سِنِينَ وَعِنْدَ نِهَايَتِهَا يَقِفُونَ أَمَامَ الْمَلِكِ»[111].

٢٧) الصلاة اليومية «فَلَمَّا عَلِمَ دَانِيآلُ بِإِمْضَاءِ الْكِتَابَةِ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ وَكُوَاهُ مَفْتُوحَةٌ فِي عُلِّيَّتِهِ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَصَلَّى وَحَمَدَ قُدَّامَ إِلَهِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ ذَلِكَ»[112].

٢٨) الذبيحة «فَقَالَ لَهُ خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلُثِيَّةً وَعَنْزَةً ثُلُثِيَّةً وَكَبْشاً ثُلُثِيّاً وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً»[113].

٢٩) الصوم: «اذْهَبِ اجْمَعْ جَمِيعَ الْيَهُودِ الْمَوْجُودِينَ فِي شُوشَنَ وَصُومُوا مِنْ جِهَتِي وَلاَ تَأْكُلُوا وَلاَ تَشْرَبُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لَيْلاً وَنَهَاراً وَأَنَا أَيْضاً وَجَوَارِيَّ نَصُومُ كَذَلِكَ»[114].

٣٠) العيد «ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تُعَيِّدُ لِي فِي السَّنَةِ»[115].

٣١) وفي المسيحية الانتظار على قطع التينة «فَقَالَ لِلْكَرَّامِ هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَراً فِي هَذِهِ التِّينَةِ، وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟»[116].

٣٢) مدة موت المسيح« لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ

---

[110] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني الأصحاح ٢٤ الآية ١٢.

[111] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر دانيال الأصحاح ١ الآية ٥.

[112] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر دانيال الأصحاح ٦ الآية ١٠.

[113] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١٥ الآية ٩.

[114] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر أستير الأصحاح ٤ الآية ١٦.

[115] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر الخروج الأصحاح ٢٣ الآية ١٤.

[116] الإنجيل، إنجيل الرسول لوقا الأصحاح ١٣ الآية ٧.

لَيَالٍ»(١١٧).

٣٣) وقال الله لبطرس: «وَكَانَ هذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ ثُمَّ ارْتَفَعَ الإِنَاءُ أَيضاً إِلَى السَّمَاءِ»(١١٨).

٣٤) وفي باقية الأديان يُعتبر العدد (٣) هو أول عدد كامل، ففي الإسلام يذكر المصلي اسم الله ثلاثة مرات في كل ركعة.

٣٥) ويقوم **بالمضمضة** ثلاثة مرات، و**الاستنشاق** ثلاث مرات.

٣٦) **وغسيل الوجه** ثلاثة مرات، **وغسيل اليدين** حتى المرفق ثلاثة مرات.

٣٧) **ومسح الرأس والأذنين** ثلاثة مرات، **وغسل الرجلين** ثلاثة مرات.

٣٨) **والقسم** لا يكون نافذاً إلا إذا كان بالله ثلاثة.

٣٩) **والطلاق** لا يكون قانونياً (أو بائناً) **إلا** إذا كان الإشهار به ثلاثاً.

٤٠) وتقضي السنّة **بصوم** ثلاثة أيام في شهر رجب، وثلاثة أخرى في شـــهر شعبان.

٤١) **الماء** عصب الحياة ثلاثة: ٢ هيدروجين+١ أكسيجين.

وطبعاً ليس الغرض من الاقتباسات المذكورة هو الاستدلال بها على أن أقانيم اللاهوت لابد أن يكونوا ثلاثة. كلا، لأن الله أسمي من أن يُقاس بالنسبة إلـــى أي شيء من الأشياء، بل الغـــرض من هذه الاقتباسات هو الاستدلال بها على أنـــه لو أعلن لنا الوحي أن الأقانيم ثلاثة، لما جاز لعقولنا أن تعترض على الإطـــلاق، لأن هذه الحقيقة تكون متفقة مع الواقع المعروف لدينا.

وأقدم توضيحاً قدمه الأستاذ كليف لويس البريطاني فـــي كتابـــه «المـــسيحية وحسب» يقول: «أنت تعلم أنك تقدر أن تتحرك في ثلاثـــة اتجاهـــات، للـــشمال واليمين، للأمام والخلف، لأعلى ولأسفل، وكل اتجاه هو واحد من هذه الاتجاهات

---

١١٧ الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحاحُ ١٢ الآية ٤٠.

١١٨ الإنجيل، سفر الأعمال الرسل الأصحاحُ ١٠ الآية ١٦.

«الأبعاد الثلاثة» فإن كنت تستعمل بُعداً واحداً يمكنك أن ترسم خطاً مستقيماً، فإن استعملت بُعدين من الثلاثة يمكنك أن ترسم شكلاً هندسياً، مربعاً مثلاً. أما إن استعملت هذه الأبعاد الثلاثة فإنك تقدر أن تعمل شيئاً مجّسماً: مكعباً مثلاً: والمكعب كما نعلم يتكون من ستة مربعات.

❖ هل رأيت الفكرة؟

عالم البُعد الواحد هو عالم الخطوط المستقيمة، أما عالم البُعدَين فإنه يحوي الخطوط المستقيمة مع الأشكال الهندسية. ولكنك في عالم الأبعاد الثلاثة تحصُل على الخطوط المستقيمة مع الأشكال الهندسية والأشياء المُجسمة. وعندما تتقدم إلى مستويات أكثر واقعية وأكثر تعقيداً، فإنك لا تترك ما وجدته على المستويات البسيطة، فهو باقٍ معك، ولكنك ستحصل عليه متحداً بطرق مختلفة لم تكن تخطر على بالك عندما كنت تفكر على المستويات الأبسط.

❖ الفكر المسيحي عن الله

يقوم على المبدأ نفسه، فالمستوى الإنساني بسيطٌ وفارغ..على المستوى الإنساني يكون الشخص الواحد ذا كيانٍ واحد، وكل شخصين مستقلين هما شخصان منفصلان – تماماً كما يحدث عندما تستخدم بُعدين لرسم شكلين هندسين (مربعين مثلاً) على ورقة بيضاء. أما على المستوى الإلهي تجد شخصيات ندعوها (أقانيم) لكنها متحدة بطرق جديدة، لا نستطيع نحن أن ندركها ولا حتى أن نتخيلها، لأننا لا نحيا على مستواها.

على **المستوى الإلهي** تجد إلهاً واحداً، ذا ثلاثة أقانيم، ومع ذلك فإنه إله واحد، تماماً كما أن المكعب يتكون من ستة مربعات مع أنه مكعبٌ واحد. وبالطبع نحن نعجز عن إدراك كائن مثل هذا – وكأننا مخلوقون لندرك بُعدَيْن فقط، لا ثلاثة. وإذا بنا نعجز عن إدراك منظر المكعب. على أننا قادرون أن ندرك فكرة باهتة عنه. وعندما نصل إلى هذا الإدراك فإننا نحصل على فكرة إيجابية باهتة عن هذا الكائن «**الفوق إنساني**» وذلك لأول مرة في حياتنا. إنه

كائن أكثر من شخص! وهذا شيء ما كان يمكن أن نُخمنه، ولكن ما أن نسمع عنه حتى نقول إننا كان يجب أن ندركه لأن وجوده وكيانه يتفق مع كل الحقائق التي كنا نعرفها من قبل. ولربما تسأل: «لا أقدر أن أتخيل شخصاً ذا ثلاثة أقانيم، فما جدوى هذا الحديث؟» وللإجابة: أقول بأنه لا جدوى فعلاً من الحديث عنه، فإن الأمر الأساسي هو أن تنجذب إليه. وهذا يمكن أن يحدث في أي وقت: الآن لو أنك أردت!

يركع شخص مسيحي عادي ليصلي، محاولاً أن يتصل بالله. ولكنه كمسيحي يعلمُ أن الذي أنشأ في داخله الرغبة لأن يصلي هو الله، فالله داخله! وهو يعلم أيضاً أن كل معلوماته عن الله جاءته عن طريق المسيح – الإنسان الذي هو إله، كما أنه يعلم أن المسيح واقفٌ إلى جواره، يساعده وهو يصلي، كما أنه يصلي لأجله (أي يشفع فيه). أنت ترى أنه يصلي لله، فهو هدف الصلاة وغايتها. والله داخله يدفعه للصلاة – فهو دافع الصلاة. والله أيضاً هو الطريق الذي يندفع فيه لتحقيق الهدف. وهكذا ترى أن كل حياة الله المثلث الأقانيم تعمل داخل الغرفة التي يُصلي فيها ذلك المسيحي البسيط، إنه يرتفع إلى مستوى الحياة الروحية، إذ أن الله يرفعه إلى ذات الله، بينما يبقى الإنسان هو الإنسان.

لقد كان الناس يعرفون عن الله معرفة غامضة مُبهَمَة – ثم جاء إنسان (هو المسيح) يقول إنه الله، ولم يكن هذا الشخص مجنوناً يمكن ازاحته جانباً، بل كان قادراً أن يجعل جماعة تؤمن به، ولقد التقت به هذه الجماعة بعد موته، ثم كوّنت هيئة صغيرة، كانت قادرة أن تشعر بوجوده في وسطها، يقودها ويمنحها القدرة على إنجاز ما كان يستحيل عليها أن تُنجزَه من قبل. وعندما درست هذه الجماعة حقيقة الإيمان الذي وصلت إليه، وضعت تعريفاً لله أنه «**إله مثلث الأقانيم**».

الفصل السادس

هل الله معلناً في ثلاثة أقانيم؟

❖ ما معني كلمة أقنوم؟

في اللاهوت المسيحي نقول أن «**الله واحد في ثلاثة أقانيم**». ماذا نعني بكلمة أقنوم، بالرغم من أننا نستخدمها في لغتنا. فكلمة أقنوم، أصلها من اللغة السريانية، وتعني "**شخصا**". فنقول أن الآب أقنوم والابن أقنوم والروح القدس أقنوم. اصطلح معظم المسيحيين في الأجيال الأولي، علي تسمية هذه التعينات بالأقانيم، والمفرد «**أقنوم**» أو «**القنوم**» وهي كلمة سريانية يطلقها السريان علي كل من يتميّز عن سواه، علي شرط ألا يكون مما شُخص وله ظل، لذلك فإنه يُراد بالأقنوم «**التعين**».

خطأ تفسير كلمة أقنوم أما القول إن كلمة أقنوم معناه «**أصل**» كما ورد في بعض كتب الفلسفة، فليس بصحيح، فإننا لا نؤمن أن الأقانيم هم أصول للعالم، بل نؤمن أنهم واحد وهم أصل العالم، لأنهم تعين الله أو الله معيَّناً. والله دون سواه هو أصل العالم ومبدعه. والقول إن كلمة أقنوم معناها أصل منقول – كما أعتقد – من قاموس مختار الصحاح ص ٥٥٣، فقد جاء فيه «**الأقانيم الأصول، وواحدها الأقنوم**». ومع كلٍ فإن صاحب المختار نفسه اعترف أنه لم يتحقق من مصدر هذه الكلمة، لأنه ذكر في نفس الصفحة السابقة: «**وأحسبها رومية**»، والواقع أنها سريانية، والكلمة المقابلة لها في اليونانية هي «**إيبوستاسيس = أقنوم**»، وقد ترجمت إلى الإنجليزية «**Hypostasis**».

فلم يتم استخدام كلمة "**شخص**" لأن هذه الكلمة قد توحي لبعض الناس للأشخاص، لجأت الكنيسة إلى كلمة غير عربيّة. وهذه الكلمة لا تستخدم في أي مجال آخر، ديني أو مدني، غير هذا المجال.

ليس لكلمة أقنوم مرادف في اللغة العربية أو غيرها من اللغات يؤدى معناها

تماماً، لأن كلمة «**شخص**» العربية وما يرادفها في اللغات الأخرى تـدل علـى الذوات المنفصلة عن غيرها، والأمر ليس كذلك من جهة كلمة «**أقنـوم**». وقـد أشار إلى هذه الحقيقة «**إيليا**» مطران نصيبين في القرن الحادي عشر في إحدى رسائله: «**ليس في اللغة العربية لفظ يعبر به عن الموجود الذي كيانـه لـيس عاماً** (أي الذي ليس له شريك في كيانه) **أو ذا عرض** (أي الذي ليس له مظهـر مادي) **ولذلك عبّرنا عنه بالسريانية بكلمة أقنوم**».

ونحن نسلّم بأننا لا نقدر أن نوضح بالتفصيل كل المقصود في كلمة «**أقنوم**» ولا حقيقة العلاقة التي بين الأقنوم والجوهر. وعجزنا هذا غير مقـصور علـى تعليم التثليث لأن معظم ما نعرفه من جميع الأمور المادية والروحية لـيس هـو إدراك الجوهر، بل معرفة صفاته وخواصه. ومن باب أولى يصح هذا القول من جهة اللّه الذي لا نعرف حقيقة جوهره ولا أسراره الجوهرية مطلقاً. بل أقـصى ما نعرفه هو صفات ذلك الجوهر الذي نسمّيه بالروح المجرد. وقـد اعتـرض البعض أن التثليث يستلزم انقسام جوهر اللّه إلى ثلاثة أقسام، وهو باطـل، لأنـه ناشئ عن تصوّر جوهر اللّه أنه مادي وله صفات مادية. وأما الروح فلا يقبـل الانقسام مطلقاً. ولما كان العقل البشري عاجزاً عن إدراك جوهر اللّـه، يبطـل حكمنا باستحالة أنه في ثلاثة أقانيم، لأننا نكون قد حكمنا بمداركنا المحدودة على ما هو فوق إدراكنا، وما هو خارج دائرة معرفتنا.

فكلمة «**الأقانيم**» تختلف عن كلمة «**الأشخاص**» من ناحيتين رئيسيتين:

١) إن الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر، أما «**الأقانيم**» فهم ذات واحدة، هي ذات الله.

٢) إن الأشخاص وإن كانوا يشتركون في الطبيعة الواحـدة إلا أنـه لـيس لأحدهم ذات خصائص أو صفات أو مميزات الآخر. أما الأقانيم فمع تميّز أحدهم عن الآخر في الأقنومية، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته، لأنهم ذات الله الواحد.

❖ أقانيم اللاهوت:

هؤلاء الأقانيم متساوون في الجوهر الإلهي ومتميزون الواحد عـن الآخـر. ففي التساوي فإن الآب إله، والابن إله والروح إله. الآب أزلي، قادر على كـل شيء، غير محدود وكامل للغاية وكذلك الابن الروح القدس يشاركان الآب فـي أزليته وقدرته وعظمته غير المحدودة وفي كل كمالاته بلا تفاوت ولا نقـصان. غير أنهم متميزون الواحد عن الآخر، لأننا لا نستطيع أن نقول أنه **"ثلاثة"** إلاّ إذا كان لكل منهم ما يتميز عن الأقنومين الآخرين، وإلا لكانوا حتما أقنومـا واحـدا فقط.

فيم يقوم هذا التميّز؟

يأتي التميز في العلاقات المتبادلة بينهم.

فالأقنوم الأول لا يصدر عن أقنوم آخر، بل منه يصدر الأقنومان الآخـران، ولذلك يسمى **«الآب»**.

والأقنوم الثاني يصدر أو **«يولد»** من الآب بطريقة روحية عقلية، كما تصدر أو تولد الكلمة من العقل، لأن الله روح فلا دَخْلَ فيه للمـادة ولـشؤون الجـسد، ولذلك يسمى الأقنوم**«الابن»** أو **«الكلمة»**.

والأقنوم الثالث يصدر أو **«ينبثق»** من الآب والابن معا هو حبهما المتبـادل ويدعى **«الروح القدس»**.

إن في اللاهوت ثلاثة أقانيم: **الآب، والابن، والروح القدس**. وهؤلاء الثلاثة إله واحد، جوهر واحد، متساوون في القدرة والمجد.

❖ هل هناك فرق بين الثالوث المسيحي والثالوث في الوثنيين القدماء؟

جاء التعليم الخاص باللّه الواحد المثلث الأقانيم في الإنجيل. وجاء ما يظهـر أنه يشبهه من تعاليم الوثنيين القدماء، ظاهرياً فقط لا حقيقةً.

١- الثالوث الهندي

في الهند مثلاً ظهرت إحدى الديانات والتي نادت بثلاثة آلهة هم: براهما هو الخالق أصل كل شيء، شنوا هو الحافظ لكل شيء شيوا هو المخرب.

وهؤلاء الثلاثة يمثلون التطورات المتلاحقة في الكون من ناحية الوجود والاستمرار والفناء. وبراهما إله له جوهر إلهي بسيط غير شاعر بنفسه خال من الصفات. فقد كان الهنود يؤمنون بآلهة كثيرة وصل عددها إلى حوالي ٣٣ إلهاً لكنهّم رفعوا براهما وشنوا وشيوا فوقهم بحجة أن هؤلاء الثلاثة يمثّلون الخلق والحفظ والتدمير.

فالهنود لم يقولوا إن الثلاثة (براهما وشنوا وشيوا) هم واحد، بل هم يؤمنون أنهم ثلاثة منفصلون متعاقبون يعملون ضد بعضهم البعض، لا توجد بينهم وحدة أو كما نسميها نحن وحدة الجوهر. ولم يخطر ببال الهنود قط أن يجعلوا هؤلاء الثلاثة واحداً، بل على العكس تماماً كانوا يؤمنون أن كلا من هؤلاء الثلاثة منفصل عن الأخر ومختلف عنه كل الاختلاف بل أنهم يعملون ضد بعضهم. غير أنه بالإضافة لما سبق فإن كل واحد من هذه الآلهة الثلاثة له أسرار كثيرة وحوادث غرامية مخجلة وكل منهم يطلب نوعاً خاصاً من العبادة فمنهم من يطلب عبادة مصحوبة بفرح وسرور وابتهاج، ومنهم من يتطلب عبادة مصحوبة برعب وخوف وإذلال.

٢- الثالوث المصري

كذلك المصريون القدماء آمنوا بثالوث شهير وهو إيزيس وأوزوريس وحورس ثلاثة آلهة ويطلق عليه ثالوث طيبة المصري. وكان الشعب المصري القديم يؤمن بهذا الثالوث أيام مصر الفرعونية وذلك قبل ظهور المسيحية.

قصة الثالوث المصري القديم أوزيريس وزوجته إيزيس (وهي في نفس الوقت أخته) وابنهما حورس. وقد كان هناك زمن لم يكن فيه الابن حورس

موجوداً مع والديه.

كما أن الفرق بين الثالوث المسيحي والتثليث المصري كبير وواضح ففي الثالوث المصري توجد زوجة للإله في حين لا توجد في الثالوث المسيحي. في الثالوث المصري يوجد تعاقب زمني إيزيس وأوزوريس تزوجا وأنجبا حورس أي أنه لم يكن معهما من البداية بل جاء تالياً لهما. كما أن في الثالوث المصري زواجاً أو عملية تزاوج بعكس الثالوث المسيحي الذي لم يحدث فيه أي شيء من هذا القبيل.

ولعلنا نلاحظ أن تسمية الآب والابن والروح القدس ليس لها أساس في عقائد قدماء المصريين، كما أن كلمة أقنوم والتي هي من صميم التعليم المسيحي ليس لها أثر في التاريخ المصري. بل إن الإيمان بالثالوث المصري كان ينص على الانفصال الكامل بين الآلهة الثلاثة ولا يغيب علينا هنا أيضاً وجود عنصر نسائي في هذا الثالوث.

٣- الثالوث البابلي

وفي بابل وُجدَ ثالوث مكون من عشتاروث، وسن، وشماس. وكان هذا في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد. وهذا الثالوث كان يتكون من أب وأم وإبن. وهذا الأخير أصبح زوجاً للأم في الوقت نفسه. وهنا أيضاً نرى أن كلَّ إله في هذا الثالوث منفصل تماماً عن الآخر ومختلف عنه كل الاختلاف. ولذلك فلا يقبل أو يعقل أن تكون عقيدة الثالوث المسيحية مقتبسة أو مشابهة لعقائد التثليث عند الوثنيين. بل إن الثالوث المسيحي المقدس يختلف تماماً عن كل ما سبق عرضه.

ونستطيع أن نوضح الفرق بين الثالوث المسيحي والتثليث الوثني في النقاط التالية:

أولاً: في التثليث الوثني الثلاثة آلهه غير متساويين لكن في الثالوث المسيحي الأقانيم متساوية في كل شيء. فهي متساوية في الأزلية والآب يساوي الابن ويساوي الروح القدس.

ثانياً: يوجد تناسل في التثليث الوثني لكن لا يوجد تناسل في الثالوث المسيحي. فأوزوريس تزوج إيزيس وأنجبا حورس نتيجة لعملية تزواج.

ثالثاً: يوجد اختلاف في الزمن بين آلهة الوثن، فمثلاً في التثليث الوثني المصري، كان أوزوريس موجوداً وحده فترة من الزمن وكانت إيزيس وحدها لفترة من الزمن قبل زواجهما وحورس كان أقل عمراً منهما لكونه نتاج زواجهما. أما في الثالوث المسيحي فلا يوجد فارق زمني بين الأقانيم الثلاثة لأن الله موجود منذ الأزل قائم وكائن بذاته وبعقله (الله الابن) وبروحه (الله الروح القدس).

رابعاً: في التثليث الوثني توجد امرأة، "إيزيس" في التثليث المصري و"سن" في الثالوث البابلي، أما في الثالوث المسيحي فلا توجد امرأة ولا تزاوج. فالبنوة في المسيحية ليست جسدية وليست بنوة تناسلية نتيجة علاقة بين رجل وامرأة وإنما هي بنوة مُختلفة تماماً، هي بنوة ذاتية عقلية روحانية لا علاقة لها مطلقاً بالجسد أو بالتناسل. فالتوالد يقتضي التتابع الزمني وهذا لاشك يتنافى مع أزلية الله.

خامساً: في التثليث الوثني الهندي الثلاثة يعملون الواحد ضد الآخر، لكن في المسيحية الثالوث الواحد يعمل معاً. فالأقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر لهم علم واحد ومشيئة واحدة وقوة واحدة فليس في اللاهوت ثلاثة عقول أو ثلاث مشيئات أو ثلاثة مصادر للقوة. فلقد قال المسيح «**الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لا يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلا مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ(الآب) فَهَذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذَلِكَ**»[119].

وكل هذه الآراء الوثنية القديمة مختلفة تماماً عن تعليم الإنجيل في التثليث، وهي لا تفسره ولا تؤيده. والله واحد مثلث الأقانيم، أما ثالوث الوثنيين فهو ثلاثة

---

[119] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاحُ ٥ الآية ١٩.

آلهة.

يــؤمن المسيحيون بالله الواحد، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه، موجودٌ بذاته (وهذا ما يطلقون عليه الآب) فلا يمكن أن الذي أوجد الموجودات كلها يكون بلا وجود ذاتي. وكلمة «أب» لا تعني التوالد التناسلي، بل تعني الأبوّة الروحية كقولك إن إبراهيم هو أب المؤمنين..وهو ناطق بكلمته، ويطلقون عليه «الابن» و«الكلمة». فلا يمكن أن يكون الله الذي خلق الإنسان ناطقًا يكون هو نفسه غير ناطق. وتلقيب المسيح بالكلمة جاء من الكلمة اليونانية «لوجوس» وتعني العقل. فالله خلق العالم بكلمته وعقله. والله وعقله واحد، كما تقول «حللتُ المسألة بعقلي» وأنت وعقلك واحد. عقلك «يلد» فكرة تنفصل عنه وتُنشر في كتاب، وفي الوقت نفسه تكون الفكرة موجودة في عقلك. والله ناطق بالمسيح «كلمته»، الذي هو ابنه (كقولك: الكلمة ابنة العقل، وفي تعبيرنا العربي: لم ينطق ببنت شفة). فالكلمة في العقل، ومع ذلك يرسل العقل الكلمة لتنتشر وتهدي الناس، وهي في الوقت نفسه موجودة في العقل والعقل فيها..وهو حي بروحه، ويُطلقون على ذلك «الروح القدس» فلا يمكن أن الله الذي خلق الحياة يكون هو نفسه غير حي بروحه. والله وروحه واحد. فالمسيحيون يؤمنون بالله الواحد، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه.

عــقيدة الثالوث لا تعني مطلقاً أننا نؤمن بثلاثة آلهة كما يتوهم البعض، لكن عقيدتنا بحسب الإنجيل هي:

الله الواحد:

له قلب محب هو الأب، وعقل حكيم هو الابن، وروح حي هو الروح القدس. ومثل لذلك الإنسان نفسه: له قلب يحب وهو الجسد، وعقل يفكــر هــو الــنفس، وروح به يحيا هو الروح. وهؤلاء الثلاثة هم في الإنسان الواحــد، لايمكــن أن نتصور إنسان بدون قلب، أو عقل، أو روح. لا نستطيع أن نقــول أن الإنــسان ثلاثة وليس واحد. هكذا الأمر بخصوص الله ذاته، فهو ذو قلب محب هو الآب،

وعقل حكيم هو الكلمة (الابن)، وروح حياة هو الروح القدس.

ثانياً: التثليث في الإنجيل:

ملخصه أنه لا يوجد إلا إله واحد فقط (كما شرحنا سابقاً)، ومع ذلك فإن لكل من الآب والابن الروح القدس صفات اللاهوت وحقوقه. وبالتفصيل نقول:

(١) **إنه لا إله إلا الإله الوحيد السرمدي الحقيقي.** ومن نصوص الكتاب التي تؤكد على وحدانية الله «**اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**»[١٢٠]. «**هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ رَبُّ الْجُنُودِ: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ وَلاَ إِلهَ غَيْرِي**»[١٢١]. وقال المسيح إن أعظم الوصايا هي «**الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**»[١٢٢]. «**أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ**»[١٢٣]. ومن وصايا اللّه العشر التي تتضمن خلاصة الناموس الأخلاقي للدينين اليهودي والمسيحي الوصية الأولى والعظمى منها: «**لا يكن لك آلهة أخرى أمامي**». وكل تعليم يضاد ذلك خاطئ.

(٢) لكلٌ من الآب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية (إلا ما كان خاصاً بالأقنومية) ويستحق كلٌ منهم العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة. فيتضح من الكتاب المقدس لاهوت الآب كما يتضح لاهوت الابن، ويتضح لاهوت الروح القدس كما يتضح لاهوت الآب والابن.

(٣) ليست أسماء أقانيم الثالوث الأقدس (الآب والابن والروح القدس) أوصافاً لعلاقات مختلفة بين اللّه وخلائقه، على ما زعم البعض ككلمة «**خالق**» و«**حافظ**» و«**منعم**». ومن إعلانات الإنجيل التي تثبت ذلك:

(أ) يقول كلٌ من الآب والابن والروح القدس عن نفسه: «**أنا**».

---

١٢٠ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاحُ ٦ الآية ٤.

١٢١ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاحُ ٤٤ الآية ٦.

١٢٢ الإنجيل، إنجيل الرسول مرقس الأصحاحُ ١٢ الآية ٢٩.

١٢٣ الإنجيل، رسالة الرسول يعقوب الأصحاحُ ٢ الآية ١٩.

(ب) يقول كلٌ منهم للآخر: «أنت» ويتحدث عنه بضمير الغائب «هو».

(ج) يحب الآب الابن، والابن يحب الآب، والروح القدس يشهد للابن. فيظهر من ذلك أن بين كل منهم والآخر من العلاقات ما يدل على تمييز الأقنومية، وأنه يوجد إلهٌ واحد فقط في ثلاثة أقانيم، وهم الآب والابن والروح القدس.

ثالثًا: تعليم التوحيد والتثليث معا يتضمنّ ما يأتي:

(١) وحدانية الله.

(٢) لاهوت الآب والابن والروح القدس.

(٣) الآب والابن والروح القدس أقانيم يتميز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد.

(٤) إنهم واحدٌ في الجوهر، متساوون في القدرة والمجد.

(٥) بين أقانيم الثالوث الأقدس تميُّز أيضاً في الوظائف والعمل، لأن الإنجيل يعلّم أن الآب يرسل الابن، وأن الآب والابن يرسلان الروح القدس. ولم يُذكر أن الابن يرسل الآب ولا أن الروح القدس يرسل الآب أو الابن، مع أن الآب والابن والروح القدس واحدٌ في الجوهر ومتساوون في القدرة والمجد.

(٦) تُنسب بعض أعمال اللاهوت إلى الآب والابن والروح القدس معاً، مثل خلق العالم وحفظه.

(٧) تُنسب بعض الأعمال على الخصوص إلى الآب، وغيرها إلى الابن، وأخرى إلى الروح القدس. مثال ذلك ما قيل إن الآب يختار ويدعو، وإن الابن يفدي، وإن الروح يجدد ويقدس[١٢٤].

(٨) تُنسب بعض الخواص إلى أقنوم من الثالوث دون الآخرين، كالأبوّة إلى الآب، والبنوّة إلى الابن، والانبثاق إلى الروح.

---

[١٢٤] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل أفسس ألأصحاح ١ الآيات ٣-١٤.

قد يكون هـذا التعليم فوق إدراكنا، ذلك لا ينفيه، كما لا ينفي ما يشبهه من الحقائق العلمية والدينية. وإن قيل إن جوهراً واحداً ذا ثلاثة أقانيم مُحال، قلنا: هاتوا برهانكم على هذا! وإن عقولنا القاصرة لم تُخلق مقياساً للممكن وغير الممكن لِما هو فوق إدراكها. وحسناً قيل: «**البحث في ذات الله كفر**».

وقال علي بن أبي طالب: «**القول بأن الله واحد على أربعة أمور. وجهان لا يجوزان على الله، *ووجهان ثابتان* له:**

(١) فمن قال إن الله واحد وقصد باب العدد، فهذا غير جائز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب العدد.

(٢) ومن قال إن الله واحد وأراد النوع أو الجنس فقوله باطل، لأن الله منزّه عن كل نوع وجنس.

إنما الوجهان الصحيحان فهما:

(١) القول بأن الله واحد أحد منفرد عن الأشياء منزّه عنها.

(٢) وبأنه لا ينقسم في وجود أو عقل أو وهم. فكذلك الله ربنا».

ونحن لا نعتقد أن الله ثلاثة أقانيم بمعنى أنه ثلاثة جواهر، لأن كلمة «أقنوم» لا تعني جوهر. فالمقصود هنا بالجوهر الذات الواحدة، فهو عبارة عن الوحدة اللاهوتية. والمقصود بالأقنوم واحدٌ من الآب والابن الروح القدس، فهو عبارة عن الامتياز في ذلك الجوهر الواحد. لكن كلمة الأقنوم (كسائر الكلمات البشرية) قاصرة عن إيضاح تلك الحقيقة الإلهية، أي أن الله ثالوث في الأقنومية وواحد في الجوهر.

فليس لكلمة «أقنوم» في اللغة البشرية معنى كمعناها الخاص في التعبير عن الثالوث الأقدس، لأن المقصود بتلك الكلمة في غير الكلام على التثليث شخص متحيز بحيّز، منفرد عن غيره كيوحنا مثلاً. والمقصود بها في الكلام عن الثالوث غير ذلك التعيين، أو استقلال الأقنوم عن الجوهر.

فأقانيم الثالوث هي واحدٌ في الجوهر، أي لـه ذات واحدة كقول القانون

الأثناسي: «هكذا الآب إلة، والابن إلة، والروح القدس إلة. ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحدٌ. وهــكذا الآب رب، والابن رب، والروح القدس رب، ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد». فإذا قلنا ثلاثة أقانيم بشرية أشرنا إلى ثلاثــة أفراد معيَّنين في وحدة نوعية، أي إلى ثلاثة أشخاص من البشر لهم طبيعة واحدة نوعية.

ولكن إذا قلنا ثلاثة أقانيم إلهية أشرنا بذلك إلى اتحاد جوهري، أي إلى ثلاثــة في طبيعة واحدة لا نوعية بل جوهرية، أي في الذات الواحدة. فأقانيم اللاهــوت هي في جوهرٍ واحدٍ فردٍ، لا في جوهرٍ واحد نوعي. فالتعــدد الأقنــومي فــي اللاهوت لا يلحق الجوهر، بخلاف التعدد الأقنومي في البشر، لأنه فــي البــشر يقوم بتعدد الجوهر والأقنوم معاً. فكل من الآب والابن والــروح القــدس هــو باعتبار أقنومه في الذات الواحدة، ولكلٍ منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقــسام ولا انفصال.

مما سبق يتضح أنه لابد من أن يكون هناك ثالوث في الله الواحد القــدوس إذ أنه: لا يمكن أن الله الواحد الذي أوجد في الإنسان عاطفة الحب، أن يكون هو نفسه بلا قلب محب. ولا يمكن أن الله الذي خلق الإنسان عاقلاً ناطقًا، أن يكــون هو نفسه بلا عقل حكيم.

كما أنه لا يمكن أن الله الذي خلق الحياة في كل كائن حي، أن يكون هو نفسه بلا روح حي. لذلك تحتم أن يكون «الله الواحد» ثلاثة أقــانيم علــى نحــو مــا أوضحنا وهذا هو إيماننا القويم والصحيح (الصراط المستقيم) **«الله واحــد فــي ثلاثة أقانيم وليس ثلاثة آلهة».**

مما سبق عرفنا أن المسيحية تؤمن بأله واحد في ثالوث: قلــب الله المحــب، كلمته العاقلة الحكيمة، وروحه الحي. ويطلق على هذا الثالوث أسماء أخرى هي: الآب هو قلب الله كأب محب، الابن هو كلمة الله العاقلة الحكيمة، الروح القــدس هو روح الله الحي. وتقوم في وجه التسمية اعتراضات من غيــر الفــاهمين، إذ

يظنون أنها تعني التوالد التناسلي والعلاقات الجسدية، وحاشا للمسيحية من هـذا المفهوم، ولذلك سنوضح القصد من هذه التسمية فيما يلي:

أولاً: الله الآب: مفهوم كلمة الآب :

إننا نحن المسيحيين لا نقصد بهذا اللفظ المعنى الجسدي، بل لهذا اللفظ "آب" معان أخرى كثيرة منها:

١- المعنى المجازي:

فالله هو مصدر كل الكائنات وخالقها فيسمي أبًا للمخلوقات جميعهـا لاسـيما العاقلة، كما يقول النبي موسى: «**أَلَـيْسَ هُـوَ أَبَـاكَ وَمُقْتَنِيَـكَ هُـوَ عَمِلَـكَ وَأَنْشَأَكَ؟**»[١٢٥]. أو كما قال النبي إشعياء: «**يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُونَا**»[١٢٦]. وفي العهـد الجديد، أعلن الرسول بولس: «**لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ**»[١٢٧]، وبهذا المعنى، ترد لفظة (الآب) في اللغة مثل أبو الخير، أبو البركات، وأبو الفضل...وغيرها، حيث لا يؤخذ بمعنى التوالد أو التناسل الجـسدي، بـل بالمعنى المجازي.

٢- المعنى الشرعي:

ففي حالة التبني، لا تعني لفظة «الآب» أنه قد أنجب الابن المتبني، بل أنـه قبله في محل الأبن، ومنحه كامل الحقوق الشرعية. واعتبر نفسه مسؤولاً عنـه، ملتزمًا به كأب حقيقي. ويقول الرسول بولس في هذا: «**أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!»**»[١٢٨]. أو «**لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ**»[١٢٩]. فأبوة الله لبنوتنا علـى حقوق شرعية إلهية.

---

[١٢٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاح ٣٢ الآية ٦.

[١٢٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦٤ الآية ٨.

[١٢٧] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأولى لأهل كورنثوس الأصحاح ٨ الآية ٦.

[١٢٨] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ٨ الآية ١٥.

[١٢٩] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل غلاطية الأصحاح ٤ الآية ٥.

٣- المعنى الجوهري:

كعـلاقة النار والنور، فالنار تلد النور الذي هو من طبيعتها ذاتها. ولهـذا نقول في قانون الإيمان المسيحي عن الكلمة «**نور من نور**». ونقول أيضًا «**واحد مع الآب في الجوهر**». وهذا نفس ما قرره الكتاب المقدس بقوله: أنـه «**بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ**»[١٣٠]. وبهذا المعنى ينتفي ما يتهمنا به البعض بأن هناك علاقة جسدي أو مادية في تعبيرنا عن الآب والابن، وإنما هي علاقـة روحيـة جوهرية.

٤-المعنى الروحي:

بعد أن سكب الله روحه القدوس في قلوب المؤمنين، ولدوا ثانية بالمعموديـة ولادة روحية، متجددين بفعل الروح الإلهي القدوس، وبهذا يتم في المؤمنين القول أنهم مولودين من الله: «**اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِـنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ**»[١٣١].

وقد علمنا يسوع المسيح أن نصلي قائلين: «**فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ**»[١٣٢]. وبناء عليه لا يحق لأي إنسان عادي أن يدعي بأنه ابن الله، وأن الله أبوه، ما لم يحصل على التبني الشرعي ومـسحة الـروح القدس. مما سبق إيضاحه إذن لا نؤمن بأبوة الله بطريقة جسدية، بـل بطريقـة روحية مقدسة.

ثانيًا: الابن: مفهوم كلمة ابن

وهنا لابد أن نوضح أن صلة المسيح "الإبن" بالله "الآب" ليست صلة توالديـة تناسلية جسدية ولكنها علاقة روحية تقوم على وحدة الطبيعة والـصفات والإرادة

---

[١٣٠] الإنجيل، رسالة الرسول بولس إلى العبرانيين الأصحاح ١ الآية ٣.

[١٣١] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاح ١ الآية ١٣.

[١٣٢] الإنجيل، إنجيل الرسول متى الأصحاح ٥ الآية ٩.

وتحتوي على المحبة والإكرام والمناجاة المتبادلة بين الآب والابن. أو مانسميه بلغتنا البشرية حوار الذات مع ذاتها أو نفسها.

وإن استخدام الإنجيل لكلمتي الآب والابن ما هي إلا ليشرح لنا بصورة مبسطة يستطيع عقلنا البشري أن يدرك بها العلاقة بين الله الآب وبين كلمته الأزلية. فهي ليست علاقة تزاوج وتناسل وتكاثر كما يظن البعض. فالبنوة بمعناها الحقيقي في الكتاب المقدس تشير بوضوح أن الآب والابن متلازمان أزليان ومتحدان معاً بالروح القدس، فليس هناك علاقة توالدية جسدية أو محدودية في الزمن.

في قولنا المسيح ابن الله لا نقصد أن المسيح جاء عن طريق تزاوج جسدي. فقولنا «**ابن**» لا نقصد بها العلاقة الجسدية أو الولادة التناسلية...وإنما نقول المسيح ابن الله أي أنه جاء من عند الله، فالله هو روح، اذا تنبع بنوة المسيح من أبوة الله الروحية. ومع أن هذه البنوة ليست مجازية إلا أن اللغة العربية قد استخدمت كلمة «ابن» في اللغة العربية والقرآن والحديث بهذا المعني وليس للدلالة على التوالد التناسلي كما يتضح مما يلي:

١- كلمة ابن في اللغة:

في كثير من التعبيرات اللغوية تستخدم كلمة ابن لا للدلالة على التوالد التناسلي كقولنا عن الطلبة «**أبناء العلم**»، وعن المواطنين «**أبناء الوطن**» وعن المصري «**ابن النيل**» وعن الأعرابي «**ابن البادية**»...عن الكلمة التي يتكلم بها الإنسان «**بنت شفه**» فنقول مثلا: «**لم ينطق الرجل ببنت شفه**»،أي أن الرجل لم ينطق « **بكلمة**».

٢- كلمة ابن في القرآن:

جاءت في القرآن كلمة «ابن» لا لتفيد التوالد التناسلي كما يتضح لك مما يلي:« **قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**» ويقول المفسرون كلمة «ابن السبيل» تشير إلي المسافر، وقال الإمام

النسفي والشيخ حسنين مخلوف «دعي ابن السبيل لملازمنه للطريق»[133].

❖ حديث قدسي:

جـــاء في حديث قدسي «الأغنياء وكلائي والفقراء عيالي» أي أولادي، فهل يفهم من هذا أن الله أخذا زوجة وأنجب منها أولادًا هم الفقراء؟ إذا فكلمة «ابـــن الله» لا تفيد التوالد التناسلي بالطريق البشرية، وإنما قصد بهذا القـــول تعريـــف علاقة المسيح إلى الله، وليس في ذلك كفر ولا إشراك! لأن بنوة المسيح تنبع من أبوة الله الروحية. فالله الموجود هو الآب، وكلمته المـــسيح هـــو الابـــن علـــى الإطلاق، وبالمعني الوحيد الذي لا ينطبق على غيره.

❖ شهادة القرآن أن المسيح كلمة الله:

يشهد القرآن بكل وضوح أن المسيح هو كلمة الله ويتضح ذلك مما يلي:

«إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَـــرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»[134]، «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى[135] مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ»[136]. وقد فسر الإمام أبو السعود ذلك بقوله: «مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِـــنَ اللَّـــهِ». أي بعيـــسى عليـــه السلام...إذ قيل إنه أول من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروح منه.

وقال السدي: لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت: يا مريم أشعرت بحبلى، فقالـــت مريم وأنا أيضًا حبلى، قالت (أم يحيى) إني وجدت ما في بطني يسجد لمـــا فـــي بطنك فذلك قوله تعالي: «مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ»[137].

«إِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيـــسَى

---

[133] تفسير النسفي جزء1ص86، وصفوة البيان القرآن الشيخ حسنين مخلوف جزء1ص80.

[134] القرآن، سورة النساء4 الآية 171.

[135] أي يوحنا المعمدان.

[136] القرآن، سورة آل عمران3 الآية 39.

[137] تفسير أبي السعود محمد بن محمد العمادي ص 232.

ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ»[138]. ولعلك تلاحظ إشارته إلى الكلمة بضمير مذكر في قوله «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ» ولم يقل «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهَا» أليس في ذلك دلالة واضحة على أنه لا يقصد بها مجرد كلمة عادية بل إن كلمة الله لا تنفصل عنه قد تجلت في جسد المسيح وهذا ما يؤكده أحد علماء المسلمين وهو: الشيخ محي الدين العربي إذ قال: الكلمة هي الله متجليًا...وهي عين الذات الإلهية لا غيرها[139]. وقال أيضًا "الكلمة هي اللاهوت"[140].

أليس هذا هو عين ما قيل عن السيد المسيح في إنجيل يوحنا «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا»[141]. ولاحظ أيضًا الإشارة إلى الكلمة بضمير المذكر في القول «كَانَ الْكَلِمَةُ» ولم يقل كانت الكلمة ويفسر ذلك بقوله «كَانَ الْكَلِمَةُ» وقد ظهر في الجسد «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً».

شهادة الدكتور محمد الشقنقيري أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة باريس، ثم أستاذ الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق جامعة عين شمس[142] إذ يقول: «نعرف أن القرآن يقول عن يسوع أنه كلمة الله وروحه، (كلمة الله، وروح الله) وترجمة هذه التسمية لا تنال المسيحي بأية صعوبة، ومن ثم كان الاعتراض على المسلمين، لاضطرارهم إلى الاعتراف بألوهية المسيح. ما المسيح؟ يجيب

---

138 القرآن، سورة آل عمران ٣ الآية ٤٥.

139 كتاب فصوص الحكم الجزء الثاني ص ٣٥.

140 نفس المراجع السابق ص ١٣.

141 الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاح ١ الآيات ١و١٤.

142 ونشرة بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٨٥ مترجمة عن المجلة التاريخية للقانون الفرنسي والأجنبي في شهر يونيو ١٩٨١، وقام بالترجمة الدكتور محمد بدر أستاذ تاريخ القانون في كلية الحقوق جامعة عين شمس.

المسلم إنه كلمة الله، أنه روح الله. ولكن هذا الكلمة وهذا الروح أمخلوقة؟ أم غير مخلوقة؟ إذا كان روح الله غير مخلوق فلا إشكال: فالمسيح إذن هو الله. وإذا كان روح الله مخلوقًا، فيكون روح الله وكلمة الله مخلوقين. فالله إذا كان قبل الخلق بغير كلمة! وبغير روح! وذلك غير متصور!!».

ثالثًا: الروح القدس:

قد مر بنا الحديث عن الروح القدس أنه روح الله وقد ورد ذكره في مواضع كثيرة منها: «وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»[١٤٣]. «وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ»[١٤٤]. وقال الإمام النسفي: « بروح القدس أي الروح المقدسة...أو بأسم الله الأعظم»[١٤٥]. «اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ»[١٤٦]. وقال السيد عبد الكريم الجيلي عن الروح القدس أنه غير مخلوق وغير المخلوق أزلي والأزلي هو الله دون سواه[١٤٧].

وقال أيضًا الشيخ محمد الحريري البيومي: روح القدس هو روح الله وروح الله غير مخلوق[١٤٨]. هذا هو الثالوث الأقدس في الله الواحد الذي نؤمن به وهذا هو سر تسميته بالآب والابن والروح القدس. فالآب لقب الله في محبته الذي أوجد الخليقة فهو آب لكل الخليقة. الابن لقب كلمة الله المتجسّد في الجسد. والروح القدس هو روح الله القدوس.

---

١٤٣ القرآن، سورة يوسف١٢ الآية ٨٧.

١٤٤ القرآن، سورة البقرة٢ الآيات ٨٧ و ٢٥٣.

١٤٥ تفسير النسفي جزء١ ص ٥٦.

١٤٦ القرآن، سورة المائدة ٥ الآية ١١٠.

١٤٧ مجلة كلية الأداب سنة ١٩٣٤م.

١٤٨ الروح وما هيتها ص ٥٣.

❖ شهادة القرآن للثالوث المسيحي:

ربما تتعجب أن القرآن يذكر ثالوث الله تمامًا كما تؤمن به المسيحية. فقد مر بنا إيمان المسيحية بأن الله كائن محب هو الآب، وناطق هو الابن، وله روح هو الروح القدس. وهذا هو عين ما ذكره القرآن وفي آية واحدة: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»[149]. ففي هذه الآية يتضح أن الله له:

١- **الله كائن موجود: في قوله: «رَسُولُ اللَّهِ».**

٢- **الله ناطق بكلمته: في قوله: «وَكَلِمَتُهُ»** فالهاء ضمير متصل مفرد غائب يعود على الله.

٣-**الله له روح: «وَرُوحٌ مِنْهُ» فالهاء في «مِنْهُ»** ضمير متصل مفرد غائب يعود على الله. وهذا هو عين إيماننا المسيحي المعلن بواسطة الوحي المقدسة في الإنجيل.

ما هي ضرورة حتمية الإيمان بالثالوث المقدس؟

من الضروري والهام جداً أن نؤمن بعقيدة الثالوث القدوس لهذه الأسباب:

١. لأن الله محبة، هو المحبة في أعلى صورها، وهذه المحبة تعود إلى كينونته فهو يمارس الحب منذ الأزل وإلى الأبد، ولا يمكن أن تكون هذه الصفة قد أضيفت إليه في وقت من الأوقات، وإلا فإنه يكون قد تغير- وحاشا لله أن يتغير- ولابد لكي يمارس أحد الحب أن يكون هناك محبوب، ولذا فالسؤال هو يا ترى من الذي كان يحبه الله قبل خلق الإنسان والعالم والخليقة؟ هل يوجد أزلي آخر غير الله، حاشا؟ ولذا لابد أن يكون هذا الحب موجها إلى أقنوم آخر في جوهره الواحد، ولذا نستطيع أن نقول أن الله مكتفي بذاته من خلال أقانيمه فأقنوم الآب يحب أقنوم الإبن والإبن محبوب من الآب وهكذا...

---

[149] القرآن، سورة النساء ٤ الآية ١٧١.

٢. نستطيع أن نكتشف بدقه أن الله خلق آدم على صورته ومثاله، ونحن نرى آدم إنساناً يحيا حياة الشركة مع الآخر، وقد استمد آدم هذه القدرة من الله، فكيف يهب الشيء من لا يملكه؟ وعليه لابد أن يكون لله نفس القدرة وإلا فإن آدم يكون قد أكتسب شيئاً غير موجوداً في كمالات الله – وحاشا لله أن يكون ناقصاً – ولا يمكن أن يكون الله مشاركاً إلا من خلال الأقانيم فهي مكتفية بذاتها كل منها يقدم ذاته بالكلية للأقنومين الآخرين في جوهر الله الواحد، ولا تحتاج لآخر من خارج الجوهر الإلهي، ومن يرفض الأقانيم لابد أن يقر بأن الله كان بحاجة للبشر أو العالم لكي يشاركهم محبته أو شركته – وحاشا لله أن يكون بحاجة لآخر.

٣. لأن عقيدة التجسد والكفارة تعتمدان بصورة أساسية على الثالوث، فنحن نؤمن بأن الكلمة – أقنوم الابن – صار جسداً[١٥٠]، لأننا ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا[١٥١]، وتفقد هاتان العقيدتان قوتهما لو لم يكن الفادي هو الله ذاته لأسباب نذكرها حينما نتحدث عن ضرورة الفداء.

٤. لأن الكتاب المقدس، الموحى به من الله يؤكد على هذه العقيدة بقوة من خلال عهديه القديم والجديد وسنذكر ذلك بالتفصيل..

ولهذه الأسباب ينبغي لنا أن نؤمن بأن الله واحد في جوهره مثلث في أقانيمه.

إنّ إيماننا بالثالوث الأقدس هو أحد المبادئ الأساسية للإيمان المسيحي. *الله جوهر واحد* غير مُقسّم ومُعلن لنا في ثلاثة أقانيم (أشخاص) متميّزين: الله الآب، كلمته (الله الإبن)، وروحه (الله الروح القدس). بسبب وحدة الجوهر أو الذات الغير مُقسّم، تُوجد إرادة واحدة فقط في الثالوث الأقدس لأشخاص اللاهوت الثلاثة. هذا يعني أنّ لا أحد من أشخاص اللاهوت الثلاثة يعمل بشكل مستقل من الشخصين الآخرين. هناك إلتقاء والتصاق متبادل دائما (يوحنا ٥: ١٩؛ ١٠:

[١٥٠] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاحُ ١ الآية ١٤.

[١٥١] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاحُ ٥ الآية ٨.

٣٠). في الثالوث الأقدس، الآب هو المصدر الوحيد - الوجود الأول الذي ليس له أصل للإبن، وللروح القدس. إنّ أشخاص الثالوث الأقدس الثلاثة متّحدون في جوهر اللاهوت بدون وساطة أو مسافة. كلّ شخص إلهي يُقيم في الآخرين بدون إمتزاج وبدون إختلاط. في أيّ من أشخاص الثالوث الأقدس، الشخصين الآخرين مرئيان ومُعلنان بشكل مستمر، لأن الإنجاب والإنبثاق هي أفعال داخلية في اللاهوت المطلق اللانهائي. كلّ شخص إلهي في الثالوث الأقدس يحتوي الآخرين؛ ويمتلك ليس ثلث الألوهية، بل كلها. رغم ذلك، كلّ شخص في الثالوث الأقدس متميّز شخصياً. قوانين علم الرياضة المحدودة لا تنطبق على الله الذي هو أعلى منها. الله ثلاثة في واحد، وغير قابل للإنقسام. إنّ أقانيم الثالوث الأقدس الثلاثة متميزون، لكنّهم داخليون في وحدتهم ككائن لا يعرف أي تفريق لدرجة أنّه من المستحيل فصلهم لثلاث كيانات بينها عدم إستمرار. إنّ جوهر اللاهوت الموجود بذاته غير مُقسّم لأشخاص منفصلين.

وحدة الله ليست وحدة أجزاء مفصولة، لكنها وحدة أجزاء مُتميّزة. هكذا، طاقات اللاهوت بأكمله تُعلن للمؤمن المسيحي أحيانا في الأب، وأحيانا أخرى في الإبن وفي الروح القدس.

إنّ أقانيم الثالوث الأقدس الثلاثة من نفس الجوهر الإلهي؛ ولهم، في طبيعتهم الإلهية، نفس الخواص بالنسبة للإرادة، والطاقة، والقوّة، والسلطان. إنّ التمييز بينهم مؤسس على خواصهم الأقنومية التي تتعلق بمصدرهم. الأب هو المصدر الوحيد في الثالوث الأقدس الذي ليس له مصدر ويتميز بالأبوّة. الإبن يتميز بأنه إبن الآب المولود/المُنجب منه. الروح القدس يتميز بأنه مُنبثق من الآب والأبن. الترتيب المذكور في الكتاب المقدّس للآب والإبن والروح القدس كالأشخاص الأول، والثاني، والثالث في الثالوث الأقدس لا يدلّ على أيّ رتبة، تفوق، أو تبعية لهم في الثالوث الأقدس لأنهم جميعا متساويين في اللاهوت وكائنين منذ الأزل إلى الأبد. هذا الترتيب يقترح فقط علاقة الأب كمصدر الإبن والروح

القدس. في العملية الإلهية الواحدة، كلّ شخص إلهي في الثالوث الأقدس يساهم بما هو ملائم به: الأب هو خالق الكلّ؛ الإبن هو الذي به خُلِقت كلّ الأشياء وبه تم الفداء؛ الروح القدس هو مُعطي الحياة ومصدر التقديس.

إنّ أقانيم الثالوث الأقدس داخليون في بعضهم، ولذلك لا يحصلون على شيء من الخارج، لكنّهم متميزين في شخصياتهم، ويجدوا أنفسهم في حركة دائمة وحياة شركة محبّة وكينونة. تُقوّي هذه المشاركة الشخصية الكليّة الطابع الشخصي لله إلى الدرجة الأعظم. إنّ الوحدة الكاملة لأقانيم الثالوث الأقدس مؤسسة على الحبّ الإلهي المثالي الذي يتميّز بإنكار الذات التامّ. لا توجد أنانية في هذه الوحدة. الروح القدس، الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس، هو المعزي الذي يؤسّس حياة شركتنا مع الله. من خلال الروح القدس، يسكن الله في المؤمن المسيحي. يقدّس الروح القدس تدريجيا المؤمن المسيحي في المسيح. خلال الروح القدس، يشارك المؤمن المسيحي في طاقات الله. نستطيع القول أنّ الروح القدس هو الله فينا، الإبن هو الله معنا، والآب هو الله الأعلى منّا.

من المهم تأكيد حقيقة أنّ الإله الذي هو شخص وحيد منحصر في ذاته لا يستطيع إختبار ملء حياة الشركة والحبّ التي يعيشها الإله المثلث الأقانيم في الثالوث الأقدّس. لذلك الإله الوحيد الشخص هو إله ناقص لأنه لا يستطيع أن يختبر ملء الوجود. الله القدير كامل في ذاته الإلهية في كلّ شيء. لذلك لديه إكتفاء ذاتي في داخله، ولا يحتاج إلى خليقته ليختبر حياة شركة المحبة معها. الخليقة لا تضيف أيّ شيء لوجوده وكينونته. الله لم يخلق العالم لإشباع حاجة ضرورية لديه. الثالوث الأقدس ليس له إحتياج لآخر حيث يصبّ ويسكب محبّته العظيمة، لأن الآخر هو في الثالوث الأقدس. الله المُكتفي ذاتيا لا يعتمد على أيّ وجود غير إلهي خارج ذاته. لذلك، الإله الحقيقي الحيّ للكون لا يمكن أن يكون إله وحيد الشخص. النقص الآخر في الإله الوحيد الشخص أنّه يفتقر إلى وسائل المشاركة العميقة القريبة الوثيقة مع خليقته. لا يمكن أن تتم هذه المشاركة

بواسطة ملاك يُرسله اللّه، لأن الملاك هو مخلوق محلي ومحدود يستطيع أن يتّصل خارجيا فقط بشخص واحد في وقت ما. كما أن الملاك لا يستطيع أن يُؤثر في قلب الإنسان من الداخل لكي يعطيه إضاءة إلهية داخلية. على عكس ذلك، الروح القدس الغير مخلوق للإله الحيّ غير محدود وغير محصور في مكان معين. الروح القدس يضيء بانور اللاإلهي في الأعماق الداخلية لقلوب كثير من المسيحيين في نفس الوقت. يسكن الله بروحه القدوس (الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس) في خليقته البشرية المؤمنة. هو إله عظيم جدا يحكم الكون، وهو إله يهتمّ بالبشر لدرجة أنه يحيى حياة بشرية كاملة في المسيح يسوع، وهو إله مُحب ودود لدرجة أنه يعيش في كلّ مؤمن مسيحي.

الفصل السابع

هل تعليم التثليث من الكتاب المقدس؟

(العهد القديم «التوراة» والعهد الجديد):

يتحدث الإنجيل عن أن اللّه واحد، ولكنه يقول أيضًا إن الآب هو اللّـــه، وإن الابن هو اللّه، وإن الروح القدس هو اللّه. فلا بد إذًا أن يكون اللّـــه واحـــدًا، ذا وحدانية جامعة وليس ذا وحدانية بسيطة. في الوحدانية البسيطة يكـــون الواحـــد واحدًا، أما في الوحدانية الجامعة فإن الثلاثة يمكن أن يكونوا واحدًا.

ولا نقرأ أبدًا في الإنجيل أن اللّه هو المسيح، لأن هذا القول يعنـــي اســـتبعاد الآب والروح القدس من الألوهية. ولكن الإنجيل يعلّمنا أن المسيح هو اللّـــه، وأن اللّه هو الآب والابن والروح القدس، في وحدة جامعة.

ولم يرد تعليم وحدانية اللّه وتمـــيُّز الأقانيم أحدها عن الآخر ومساواتها فـــي الجوهر وعلاقة أحدها بالآخر في الكتاب المقدس جملة واحدة بالتصريح بل فـــي آيات متفرقة. غير أن جوهر هذه الأمور منصوص عليه من أول الكتاب المقدس لآخره. وإليك الأمور التي تثبت صحة هذا الاعتقاد:

❖ إعلانات الله عن ذاته في العهد القديم

في هذا الإنجيل أعلن الله عن وحدانيته الجامعة، فهو إله واحد في ثالوث عظيم، وسنبدأ أولاً بذكر إعلانات الله تبارك اسمه عن ذاته في التوراة وأسفار العهد القديم، واضعين نصب أعيننا أن الله أعلم بما يدل على ذاته وآثاره وصفاته، وإن علينا أن نؤمن بما أعلنه عن ذاته في كلمته.

❖ الإعلان الأول: في غرّة سفر التكوين

فهناك نقرأ الكلمات «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»(١٥٢)، وفي الأصل العبري جاءت كلمة خلق بالمفرد، بينما ورد اسم الله بالجمع، إذ تقول

---

١٥٢ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاحُ ١ الآية ١.

الآية في الأصل العبري في البدء خلق إلوهيم السموات والأرض وكلمة إلوهيم هي جمع للاسم العبري إلوه أي إله، وتؤكّد الصيغة اللفظية للآية وحدانية الله في ثالوث عظيم هذا واضح من كلمة خلق التي تؤكد الوحدانية و إلوهيم التي تؤكد وجود الثالوث في هذه الوحدانية.

❖ **الإعلان الثاني: يوم خلق الله الإنسان:**

بعد أن أعد الله الأرض للسكنى، فأنبت فيها النبات، وخلق الحيوان، حان وقت خلقه للإنسان فقال جلّ شأنه: «**نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا**»[١٥٣]، وأمام ألفاظ هذه الصيغة يدور في الذهن أكثر من سؤال: مع من كان الله يتحدث حين قال نعمل؟ وهل هناك من يعادله حتى يستشيره فيم يعمل، وهو المكتوب عنه «**لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟**»[١٥٤]؟! وكيف يمكن أن يكون الإنسان على صورة الله وشبهه، والله لا شبيه له كما قال إشعياء النبي: «**فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟**»[١٥٥]. وما دلالة النون في نعمل و نا في صورتنا وفي كشبهنا ؟

وكيف يمكن أن يكون الإنسان جسداً، ويكون في ذات الوقت على صورة الله مع أننا نقرأ أن «**اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا**»[١٥٦]؟!

ولا يمكننا أن نجد إجابة شافية عن هذه الأسئلة إلاّ إذا وضحت أمامنا حقيقة وحدانية الله الجامعة ففيها نرى الآب والابن والروح القدس في حديث واحد يبدو في كلمة نعمل، ونرى الثالوث العظيم يقرر الصورة التي سيخلق عليها الإنسان، وهي ذات الصورة التي كان المسيح سيأتي بها متجسداً، ولقد قيل عن المسيح

---

[١٥٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١ الآية ٢٦.

[١٥٤] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ١١ الآية ٣٤.

[١٥٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٤٠ الآية ١٨.

[١٥٦] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاح ٤ الآية ٢٤.

«الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»[157]، وقيل أيضاً: «وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُوماً، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هذا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللّهِ»[158]، وعلى هذا يكون الإنسان قد خلق على صورة الله باعتبار أن المسيح هو صورة الله غير المنظور، وهو في ذات الوقت الله الابن الذي تجسد في ملء الزمان.

وقد يقول قائل: إن ألفاظ هذه الصيغة لا تعني أكثر من أن الله استخدم لغة التعظيم فتكلم كما يتكلم الملك فيقول نحن، ملك لكن القائل بهذا القول يعلن عن جهله بالتاريخ القديم، فالتاريخ القديم يؤكد لنا أنه لم يكن للملوك عادة التكلم بلغة الجمع أي بلغة التعظيم، ففرعون ملك مصر إذ تحدث إلى يوسف قال له «قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ»[159]، ولم يقل قد جعلناك على كل أرض مصر وفي سفر دانيال نقرأ حديث الملك نبوخذ نصر، وقد كان ملكاً جباراً يتمتّع بكل جبروت الحكم الأوتوقراطي، ومع ذلك فهو لم يستعمل لغة التعظيم عندما تكلم عن نفسه بل تحدث إلى الكلدانيين «قَائِلاً: قَدْ خَرَجَ مِنِّي الْقَوْلُ: إِنْ لَمْ تُنْبِئُونِي بِالْحُلْمِ وَبِتَعْبِيرِهِ تُصَيَّرُونَ إِرْباً إِرْباً»[160] ولم يقل الملك العظيم قد خرج منا القول فلغة التعظيم ليست هي لغة الكتاب المقدس، ولا كانت لغة تعظيم الملوك في القديم، فالقول بأن الله استخدم في هذه الآية أو غيرها لغة التعظيم مردود من واقع الكتاب المقدس والتاريخ القديم.

❖ الإعلان الثالث: يوم سقط الإنسان

بعد أن سقط آدم وحواء بعصيانهما الله بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر

---

[157] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل كولوسي اَلأَصْحَاحُ ١ الآية ١٥.

[158] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الثانية لأهل كورنثوس اَلأَصْحَاحُ ٤ الآيات ٣ و٤.

[159] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين اَلأَصْحَاحُ ٤١ الآية ٤١.

[160] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر دانيال اَلأَصْحَاحُ ٢ الآية ٥.

نقرأ الكلمات: «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ»[١٦١]، وهنا تظهر الوحدانية في ثالوث إذ تؤكد الكلمات وقال الرب الإله وحدانية الله، وتعلن الكلمات قد صار كواحد منا الثالوث في الوحدانية وإلاّ فما معنى قول الله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا؟ ومع من كان الله يتحدث بهذا الحديث؟

❖ الإعلان الرابع: يوم بدأ الناس في بناء برج بابل

يرينا سفر التكوين صورة للبشرية بعد الطوفان تتحدث بلسان واحد ولغة واحدة، وتفكر في الاستقلال عن إله السماء، وتعلن التمرد على أمره الإلهي «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ»[١٦٢]، وعن هذا نقرأ الكلمات: وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجاً رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْماً لِئَلا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ»[١٦٣].

هنا أيضاً نجد الوحدانية في ثالوث فالوحدانية تظهر في الكلمات وقال الرب والثالوث يظهر في الكلمات هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم، ونكرر السؤال مع من كان الله يتكلم إذا لم يكن جامعاً في وحدانيته؟

❖ الإعلان الخامس: قصة بلعام وبالاق

«فبعد أن بنى بالاق لبلعام سبعة مذابح وهيأ له سبعة ثيران وسبعة كباش نقرأ الكلمات "فَقَالَ بَلْعَامُ لِبَالاقَ: قِفْ عِنْدَ مُحْرَقَتِكَ، فَأَنْطَلِقَ أَنَا لَعَلَّ الرَّبَّ يُوافِي

[١٦١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٣ الآية ٢٢.

[١٦٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٩ الآية ١.

[١٦٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١١ الآيات ٤-٧.

لِلقَائِي، فَمَهْمَا أَرَانِي أُخْبِرُكَ بِهِ. ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى رَابِيَةٍ. فَوَافَى اللّهُ بَلْعَامَ»[164].

ولم يلعن بلعام بني إسرائيل كما أراد بالاق بل باركهم، وهنا نقرأ الكلمات «فَقَالَ بَالاقُ لِبَلْعَامَ: مَاذَا فَعَلْتَ بِي؟ لِتَشْتِمَ أَعْدَائِي أَخَذْتُكَ، وَهُوَذَا أَنْتَ قَدْ بَارَكْتَهُمْ. فَأَجَابَ: أَمَا الذي يَضَعُهُ الرَّبُّ فِي فَمِي أَحْتَرِصُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ بَالاقُ: هَلُمَّ مَعِي إِلَى مَكَانٍ آخَرَ تَرَاهُ مِنْهُ. إِنَّمَا تَرَى أَقْصَاءَهُ فَقَطْ، وَكُلَّهُ لا تَرَى. فَالْعَنْهُ لِي مِنْ هُنَاكَ . فَأَخَذَهُ إِلَى حَقْلِ صُوفِيمَ إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ، وَبَنَى سَبْعَةَ مَذَابِحَ وَأَصْعَدَ ثَوْراً وَكَبْشاً عَلَى كُلِّ مَذْبَحٍ. فَقَالَ لِبَالاقَ: قِفْ هُنَا عِنْدَ مُحْرَقَتِكَ وَأَنَا أُوافِي هُنَاكَ. فَوَافَى الرَّبُّ بَلْعَامَ وَوَضَعَ كَلاماً فِي فَمِهِ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى بَالاقَ وَتَكَلَّمْ هكَذَا»[165].

وفي هذه المرة الثانية لم يلعن بلعام الشعب وتضايق بالاق «فَقَالَ بَالاقُ لِبَلْعَامَ: لا تَلْعَنْهُ لَعْنَةً وَلا تُبَارِكْهُ بَرَكَةً، فَقَالَ بَلْعَامُ لِبَالاقَ: ابْنِ لِي ههُنَا سَبْعَةَ مَذَابِحَ وَهَيِّئْ لِي ههُنَا سَبْعَةَ ثِيرَانٍ وَسَبْعَةَ كِبَاشٍ. فَفَعَلَ بَالاقُ كَمَا قَالَ بَلْعَامُ، وَأَصْعَدَ ثَوْراً وَكَبْشاً عَلَى كُلِّ مَذْبَحٍ. وَرَفَعَ بَلْعَامُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى إِسْرَائِيلَ حَالاً حَسَبَ أَسْبَاطِهِ، فَكَانَ عَلَيْهِ رُوحُ اللّهِ»[166]. ويثبت النص الإلهي ثلاث تسميات للإله الواحد جاءت في هذه العبارات:

«فَوَافَى اللّهُ بَلْعَامَ»[167]، «فَوَافَى الرَّبُّ بَلْعَامَ»[168]، «فَكَانَ عَلَيْهِ رُوحُ اللّهِ»[169].

---

[164] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٣ الآيات ٣ و ٤.

[165] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٣ الآيات ١١-١٦.

[166] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٣ الآيات ٢٥-٣٠ والأصحاح ٢٤ الآية ٢.

[167] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٣ الآية ٤.

[168] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٣ الآية ١٦.

[169] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر العدد الأصحاح ٢٤ الآية ٢.

ويسأل المرء أمام هذا الوضوح: ما معنى هذه التسميات الثلاث للإله الواحد؟ أليس الله هو الرب وهو روح الله؟

ونجيب أن النص يُظهر الثالوث بصورة أكيدة، ونحن نرى فيه – في نور العهد الجديد – أن الله هو الآب وأن الرب هو المسيح، وأن روح الله هو الروح القدس، وهكذا يظهر الله في وحدانيته الجامعة في هذه القصة من سفر العدد.

❖ **الإعلان السادس: في سفر إشعياء**

وأول إعلان جاء في هذا السفر نراه في رؤيا إشعياء المجيدة، التي رأى فيها السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع واعترف أمام قداسة الله بنجاسة شفتيه، ونرى واحداً من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، قد جاء ومس بها فم إشعياء وقال **«إِنَّ هذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ، فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ»**[١٧٠]، وبعد أن تطهر إشعياء من خطيته، وأصبح إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد سجل هذه الكلمات المنيرة: **«ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: مَنْ أُرْسِلُ، وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟»**[١٧١].

ويرى القارئ أن وحدانية الله تظهر في كلماته التي جاءت بصيغة المفرد من أرسل، وأن ثالوثه العظيم يظهر في صيغة الجمع من يذهب من أجلنا؟

❖ **الإعلان السابع: في سفر إشعياء**

مرة ثانية وبصورة باهرة في سفر إشعياء: وهذا كلام الله في هذه الآيات الباهرات: **«اِسْمَعْ لِي يَا يَعْقُوبُ. وَإِسْرَائِيلُ الَّذِي دَعَوْتُهُ. أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ. أَنَا أَدْعُوهُنَّ فَيَقِفْنَ مَعاً. اِجْتَمِعُوا كُلُّكُمْ وَاسْمَعُوا. مَنْ مِنْهُمْ أَخْبَرَ بِهذِهِ؟ قَدْ أَحَبَّهُ الرَّبُّ. يَصْنَعُ مَسَرَّتَهُ بِبَابِلَ، وَيَكُونُ ذِرَاعُهُ عَلَى الْكِلْدَانِيِّينَ. أَنَا أَنَا تَكَلَّمْتُ وَدَعَوْتُهُ. أَتَيْتُ بِهِ فَيَنْجَحُ**

---

[١٧٠] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦ الآية ٨.

[١٧١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦ الآية ٨.

طَرِيقَةُ»[١٧٢].

عجيب هذا الإعلان الإلهي عن وحدانية الله الجامعة ففيه نجد الخالق يتكلم قائلاً: «أَنَا هُوَ. أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ»، وهذه الكلمات تنطبق تماماً على الرب يسوع المسيح الذي قال عنه يوحنا الرسول: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»[١٧٣].

وقال عنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ»[١٧٤]. فالمسيح هو الخالق الذي يده أسست الأرض ويمينه نشرت السموات. ثم يقول هذا الخالق العظيم أنا هو وهي ذات الكلمات التي قالها المسيح لليهود «إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ. مَتَى رَفَعْتُمُ ابنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ»[١٧٥].

ويتابع هذا الخالق العظيم حديثه قائلاً: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ» وهي ذات الكلمات التي قالها المسيح ليوحنا الرسول في جزيرة بطمس «أَنَا هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ. الأَوَّلُ وَالآخِرُ»[١٧٦]. ثم يقول منذ وجوده: «أنا هناك» وهذا دليل ساطع على أزلية المسيح، الذي عندما سأله اليهود «ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟ أجابهم قائلاً: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن»[١٧٧]، وعبارة أنا كائن

---

[١٧٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٨ الآيات ١٢-١٥.

[١٧٣] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحُ ١ الآية ٣.

[١٧٤] الإنجيل، رسالة الرسول بولس للعبرانيين الأَصْحَاحُ ١ الآية ١٠.

[١٧٥] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحُ ٨ الآيات ٢٤ و٢٨ و٢٩.

[١٧٦] الإنجيل، الرسول يوحنا لسفر الرؤيا الأَصْحَاحُ ١ الآية ١١.

[١٧٧] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحُ ٨ الآيات ٥٧ و٥٨.

تؤكد أزليته.

الإعلان الثامن: في سفر إشعياء

تكلّم السيد المسيح، المخلص المنتظر الموعود، خلال إشعياء النبي قبل تجسده وولادته من مريم العذراء بحوالي سبعمائة سنة قائلا «**تَقَدَّمُوا إِلَيَّ (الإبن). اسْمَعُوا هذَا. لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ. مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ، وَالآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ(الآب) أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ (الروح القدس)**»[١٧٨].

وأخيراً يتكلم هذا الخالق الأزلي قائلاً: والآن السيد الرب أرسلني وروحه ومن يكون السيد الرب الذي أرسله؟ إنه يتحدث عن الله الآب كما قال في إنجيل يوحنا «**لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الذِي أَرْسَلَنِي**»[١٧٩].

وعن من يقول وروحه إنه يقيناً يتحدث عن الروح القدس الذي اشترك في إرسالية المسيح.

الإعلان التاسع: في سفر إشعياء

كما نقرأ في سفر إشعياء «**رُوحُ (الروح القدس) السَّيِّدِ الرَّبِّ (الآب) عَلَيَّ (الإبن)، لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ، وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ**»[١٨٠]، وقد أكد الرب أن هذه الكلمات تمت في شخصه حين جاء إلى العالم ولذا نقرأ في إنجيل لوقا: «**وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الذي كَانَ مَكْتُوباً فِيهِ: رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ...فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ**»[١٨١].

---

[١٧٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاحُ ٤٨ الآية١٦.

[١٧٩] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحَاحُ ٨ الآية ١٦.

[١٨٠] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحَاحُ ٦١ الآيات ١ و٢.

[١٨١] الإنجيل، إنجيل الرسول لوقا الأصحَاحُ ٤ الآيات ١٦-٢١.

في هذا النص يظهر الثالوث العظيم في وضوح وجلاء فنرى: **الآب** مرسلاً للابن لإتمام مقاصده، **الابن** متكلماً عن إرسال الآب والروح القدس له، **الروح القدس** مشتركاً في هذه الإرسالية العظمى.

وقد ذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن المسيح قدم نفسه لله بالروح القدس فقال: «**فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّهِ بِلا عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللّهَ الْحَيَّ!**»[١٨٢]. والآية الكتابية تؤكد أزلية الروح القدس إذ تذكر أنه روح أزلي.

❖ الإعلان العاشر: سفر المزامير

قرر القرآن أن سفر المزامير وهو الذي يسميه القرآن الزبور موحى به من الله، «**...وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**»[١٨٣]. «**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**»[١٨٤]. والنص القرآني يشير إلى ما جاء في مزمور ٣٧: «**أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ**»[١٨٥].

سفر المزامير وهو من أسفار العهد القديم، وما زال كما هو بين يدي اليهود بغير عبث أو تحريف، تماماً كما كان في أيام محمد، يعلن هذا السفر الجليل بكلمات صريحة لا تحتاج إلى تأويل وحدانية الله الجامعة فيقول: «**لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا...إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ. تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ. فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ**

---

[١٨٢] الإنجيل، رسالة الرسول بولس للعبرانيين الأصحاح ٩ الآية ١٤.

[١٨٣] القرآن، سورة النساء ٤ الآية ١٦٣.

[١٨٤] القرآن، سورة الأنبياء ٢١ الآية ١٠٥.

[١٨٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ٣٧ الآية ١١.

بِخَوْفٍ وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلا يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ»[186].

هذا المزمور كان وما زال في سفر المزامير، وهو كما قلنا موجود في كتاب العهد القديم، وفي كتاب العهد القديم نقرأ الكلمات: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[187]. ومع هذا التوكيد لوحدانية الله، يسجل العهد القديم هذا المزمور، فيصور لنا تفكير الشعوب في الباطل، وتآمرهم على الرب (الآب) وعلى مسيحه (يسوع المسيح)، ليتحرروا من قيودهما وربطهما.

ثم يعلن المزمور قضاء الرب من جهة ابنه الأزلي يسوع المسيح، فيقول إني أخبر من جهة قضاء الرب، قال لي أنت ابني، فالمسيح هو ابن الله الأزلي، والآب يخاطبه بهذا الاعتبار قائلاً له أنت ابني، ثم يقول أنا اليوم ولدتك، وهذه الولادة حدثت في الزمان، حدثت حين تجسد المسيح من مريم العذراء، وكان هذا التجسد في خطة الله قبل تأسيس العالم ومشيئته لفداء البشرية.

والقرآن يقرر في سورة مريم أن ميلاد المسيح من عذراء كان قضاء إلهياً، كان أمراً مقضياً فيقول: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً (مطهراً من الخطية)، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً»[188].

وُلد المسيح من مريم العذراء مطهراً من الخطية، وولادة يسوع المسيح من عذراء كانت أمراً مقضياً، كانت بقضاء إلهي تماماً كما قال كاتب المزمور «إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي (منذ الأزل). أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ (في

---

[186] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ٢ الآيات ١-٣ و٧-١٢.

[187] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاح ٦ الآية ٤.

[188] القرآن، سورة مريم١٩ الآيات ١٦و١٧و١٩و٢٠و٢١.

الزمان)»[189]. ولادة المسيح من مريم العذراء كانت ولادة معجزية، لا دخل لها في التناسل الطبيعي، فالتناسل الطبيعي عمل من أعمال الجسد وحاشا لله أن يتناسل، لأن الله روح يملأ بلاهوته السموات والأرض ولا يُحد، وبهذا المفهوم يمكن أن نقول عنه تبارك وتعالى ما قاله القرآن في سورة الإخلاص: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (أي واحد الله) اللَّهُ الصَّمَدُ (مقصود كل حي لإمداده بما يحتاجه وجوده وبقاؤه) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (عن طريق التناسل الجسدي) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (أي ليس له مثيل)**»[190].

لكن المسيح سُمّي ابن الله في الكتاب المقدس، وقال له الله تبارك اسمه في المزمور الثاني وفي أماكن أخرى أنت ابني لأن بنويته أزلية في وحدانية الله الجامعة.

ونعود الآن إلى المزمور الثاني لنتأمل كلماته الختامية ومكان المسيح ابن الله فيه: «**فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلا يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ**»[191]. هذا نداء صريح من الروح القدس يوجهه إلى الملوك وقضاة الأرض الذين قاموا ليتآمروا على الرب وعلى مسيحه، أن يتعقلوا، ويتأدبوا، ويُقَبِّلوا الابن، وفي القبلة معنى القبول الحبي، فهو يدعوهم إلى قبول سيادة الابن بحب على حياتهم، ثم ينذرهم من مغبة غضبه لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق ويعلن البركة العظمى للمتكلين على هذا الابن المبارك طوبى لجميع المتكلين عليه.

وفي سفر رؤيا يوحنا نرى منظر ابن الله من الملوك والصعاليك وهم في رعب من غضبه العظيم عند مجيئه الثاني: «**وَمُلُوكُ الأَرْضِ وَالْعُظَمَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ**

---

[189] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور٢ الآية ٧.

[190] القرآن، سورة الإخلاص الآية ١١٢.

[191] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ٢ الآيات ١٠-١٢.

وَالأُمَرَاءُ وَالأَقْوِيَاءُ وَكُلُّ عَبْدٍ وَكُلُّ حُرٍّ، أَخْفَوْا أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَغَايِرِ وَفِي صُخُورِ الْجِبَالِ، وَهُمْ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ وَالصُّخُورِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْحَمَلِ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ يَوْمُ غَضَبِهِ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ؟»[١٩٢].

وتـؤكد الصلاة التي رفعها المؤمنون بالمسيح في أورشليم، وسجلها سفر أعمال الرسل أن المزمور الثاني هو نبوة عن المسيح ابن الله تمت جزئياً أيام الكنيسة الأولى وستتم كلياً عندما يأتي المسيح ثانية. قال المؤمنون في أورشليم في صلاتهم: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، الْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟ قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ. لأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ»[١٩٣].

فالمزمور الثاني هو كلام الله ذاته، أوحى به إلى داود النبي، وهو يؤكد أن المسيح هو ابن الله، ومع أن اليهود لا يؤمنون بالمسيح الذي جاء في ملء الزمان وصُلب على الصليب، إلاّ أن هذا المزمور موجود في كتابهم مما يؤكد تأكيداً قاطعاً أن الكتاب المقدس لم تمتد إليه يد التحريف.

❖ الإعلان الحادي عشر: في سفر المزامير

في العهد القديم ففي المزمور المئة والعاشر يقول داود النبي: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»[١٩٤]. ونقول

---

[١٩٢] الإنجيل، الرسول يوحنا، سفر الرؤيا الأصحاح ٦ الآيات ١٥-١٧.

[١٩٣] الإنجيل، سفر الأعمال الأصحاح ٤ الآيات ٢٤-٢٨.

[١٩٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ١١٠ الآية ١.

مكررين أن وجود هذه الآية في هذا المزمور تؤكد تأكيداً باتاً أن الكتاب المقدس لم يحرفه أو يعبث بمحتوياته أحد، لأنه لو أن اليهود حرفوا العهد القديم لكانت أولى الآيات التي حذفوها هي هذه الآية، فداود النبي، وهو يهودي يؤمن بوحدانية الله، يكتب بوحي الروح القدس فيقول قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. كان داود النبي ملكاً ثيوقراطياً، لا تعلوه سلطة أرضية فعن من يقول قال الرب لربي ومن هو ذاك الذي يدعوه داود الملك ربي؟

الجواب نجده في حوار المسيح مع الفريسيين: **«وَفِيمَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ: مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ قَالُوا لَهُ: ابْنُ دَاوُدَ. قَالَ لَهُمْ: فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبّاً قَائِلاً: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟»**[١٩٥].

هذه الآيات المضيئة تعلن وحدانية الله الجامعة، وتقرر أن المسيح ابن الله **«قَدْ صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ»**[١٩٦]، ومع أنه صار من نسل داود، لكنه أصل داود، لأنه خالق داود، وقد قال المسيح عن نفسه: **«أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ»**[١٩٧]. ولأنّ المسيح هو ابن الله الأزلي، يدعوه داود بالروح القدس ربّي، **«قال الرب (الآب الأزلي) لربي (الابن الأزلي)، والكلام نطق به داود النبي بالروح الأزلي»**.

❖ الإعلان الثاني عشر: في إشعياء

أخيراً أعلان تمجّد ملائكة الله في ملكوت السموات بترتيل ترنيمة الثلاث

---

١٩٥ الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحاحُ ٢٢ الآيات ٤١-٤٥.

١٩٦ الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاحُ ١ الآية ٣.

١٩٧ الإنجيل، الرسول يوحنا، سفر الرؤيا الأصحاحُ ٢٢ الآية ١٦.

تقديسات: «قُدُّوسٌ (الآب الأزلي) قُدُّوسٌ (الابن الأزلي)، قُدُّوسٌ (الروح القدس الأزلي) رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»[198].

هذه هي إعلانات كتاب العهد القديم عن الله، لم يبتدعها اليهود أو المسيحيون، بل أوحى بها الروح القدس إلى أنبياء الله، والمسيحيون يقبلون إعلان الله عن ذاته بكل إيمان ويقين، ومن يتهم المسيحيين بالشرك جاهل، لا يعرف المسيحيّة الحقيقية، ولا ما يقوله الكتاب المقدس الكريم - كتاب المسيحيين - عن الله الواحد في ثالوثه العظيم. ونرى لزامًا علينا ونحن في ختام الحديث عن إعلان الله عن ذاته في العهد القديم:

❖ الإعلان النهاية:

أن نذكر إعلان اللغة العبرية الذي يسكت هؤلاء الجهلاء نقول:

هنا كلمتين وردتا باللغة العبرية في كتاب العهد القديم للتعبير عن الوحدة.

الكلمة الأولى هي كلمة يَحَد وهي تعني الواحد البحت،

***الكلمة الثانية* هي كلمة احَد وهي تعني الوحدانية الجامعة،**

ففي سفر التكوين نقرأ: «**وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْماً وَاحِداً**»[199]. وكلمة واحداً المذكورة في الآية هي كلمة احَد وهي تعني أن المساء والصباح وهما متميزان لكنهما يكونان يوماً واحداً، فكلمة احَد لا تعني هنا الواحد البحت، بل تعني الوحدانية الجامعة. وفي سفر التكوين نقرأ أيضاً: «**لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً**»[200]، وكلمة واحداً هي هنا أيضاً كلمة احَد وهي ترينا بصورة بارزة أنها تعني وحدانية جامعة، فالرجل والمرأة متميزان الواحد عن الآخر لكنهما بالزواج يكوّنان وحدة جامعة.

---

[198] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٦ الآية ٣.

[199] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ١ الآية ٥.

[200] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٢ الآية ٢٤.

أما الواحد البحت يحَد فقد ذكر في سفر التكوين في هذه الكلمات: «فَقَالَ: خُذِ ابنَكَ وَحِيدَكَ الذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الذِي أَقُولُ لَكَ»[٢٠١]. وكلمة وحيدك في العبرية في هذه الآية هي كلمة يحَد التي تعني الواحد البحت.. كان اسحق هو الابن الوحيد الذي بقي مع إبراهيم بعد ذهاب إسماعيل.

عندما قال موسى لبني إسرائيل: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»[٢٠٢].

جاءت كلمة واحد في العبرية احَد التي تعني الوحدانية الجامعة، ولعل القرآن حين ذكر في سورة الإخلاص قل هو الله أحد استعار ذات اللفظ العبري احَد، فالأرقام في العربية تبدأ بواحد وليس بأحد، وقد استعار القرآن لفظ التوراة وهي كلمة عبرية، كما استعار كلمة الإنجيل وهي كلمة يونانية، وفي القرآن كلمات كثيرة ليست عربية.

❖ الأقانيم ووحدتهم في التوراة (العهد القديم).

(١) وجوده في إعلانات الله المتتابعة وانجلاؤه بالتدريج. ففي سفر التكوين تلميحات لتعليم التثليث لا تُفهم جلياً إلا في نور إعلاناتٍ جاءت بعدها، كورود اسم اللّه «إلوهيم» بصيغة الجمع، والضمائر التي تعود إليه في هذا السفر بصيغة الجمع كقوله «لنصنع الإنسان على صورتنا» وأقوال أخرى مثله[٢٠٣]. وهذا وحده لا يثبت تعليم التثليث. ولكن إذا قارنّاه بآياتٍ أخرى متتابعة نرى أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ويتضح لنا أن هذه الأقوال توافق تعليم الثالوث الأقدس ومبنيّة عليه.

---

٢٠١ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٢٢ الآية ٢.

٢٠٢ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاح ٦ الآية ٤.

٢٠٣ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تكوين الأصحاحُ ١ الآية ٢٦ والأصحاحُ ٣ الآية ٢٢ والأصحاحُ ١١ الآية ٧ وإشعياء الأصحاح ٦ الآية ٨.

ونرى في أسفار الإنجيل الأولى تمييزاً بين «يهوه» و«ملاك يهوه» وأن لهذا الملاك ألقاباً إلهية وعبادة إلهية، ومن أسمائه أيضًا «الكلمة» و«الحكمة» و«ابن اللّه». وأقنوميته ولاهوته واضحان، لأنه «منذ القديم» و«منذ الأزل» و«الإله القدير» و«رب داود» و«الرب برّنا» الذي سبق الوعد بولادته من عذراء، ويحمل خطايا كثيرين[٢٠٤].

٢) قال موسى النبي سنة ١٥٠٠ق.م. عن بدء الخليقة في سفر التكوين: «**في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه**»[٢٠٥]. فمن هاتين الآيتين، يتضح لنا أن اثنين قد اشتركا في القيام بالخلق، هما «الله» و «روح الله»، فالأول خلق السموات والأرض، والثاني كان يرف على وجه المياه، ليبعث الحياة فيها. و«روح الله»، وإن كان يبدو أنه غير «الله»، إلا أنه في الواقع ليس سوى الله في جوهره، وذلك لسببين:

(أ) إن الله لا تركيب فيه.

(ب) إن الله هو وحده خالق السموات والأرض، وباعث الحياة في كل الكائنات.

٣) وقال داود النبي سنة ١٠٠٠ق.م.: «**بكلمة الرب صُنعت السموات**»[٢٠٦]، وقال في موضع آخر مخاطباً المولى: «**ترسل روحك فتُخلق**»[٢٠٧]، ومن هاتين الآيتين يتضح أن اثنين قاما بالخلق: هما «كلمة الرب»

---

[٢٠٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين اَلأُصحَاحُ ٣١ الآيات ١١و١٣، اَلأَصحَاحُ ٤٨ الآيات ١٥و١٦ ومزمور ٤٥ الآيات ٦و٧ و١١٠ الآية ١ وإشعياء اَلأَصحَاحُ ٩ الآية ٦، اَلأَصحَاحُ ٤٤ الآيات ٦و٧و٢٤ وملاخي اَلأَصحَاحُ ٣ الآية ١.

[٢٠٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين اَلأَصحَاحُ ١ الآيات ١و٢.

[٢٠٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر مزمور ٣٣ الآية ٦.

[٢٠٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ١٠٤ الآية ٣٠.

و«روح الرب»، و«كلمة الـرب» بمعني علم الرب وقوته. وإن كانت تبدو أنهـا غير «روح الرب» إلا أنهما في الواقع ليسا سوى الرب في جوهره، وذلك لنفس السببين السابق ذكرهم.

٤) **وخاطب أجور**، أحد حكماء إسرائيل الأتقياء صديقاً لـه سـنة ٩٥٠ ق.م. قائلا له بالوحي: **«من ثبت جميع أطراف الأرض ما اسمه وما اسـم ابنـه إن عرفت»**[٢٠٨]. وقد كانت هذه الآية موضع جدال بين علماء اليهود زمناً طـويلاً، لكنهم انتهوا بعد دراسة التوراة دراسة دقيقة، إلى أنه يقصد بهذا **«الابن»**، المسيَّا أو المسيح. ومعني **«الابن»** هنا، ليس هو المعني الحرفي، بل المعني الروحـي الذي يتفق مع روحانية الله وخصائصه الأخرى.

٥) **ما جاء بروح النبوَّة في إشعياء النبي سنة ٧٠٠ق.م**، وتحقق على لسان المسيح بخصوص تجسّده:. **«أنا هو أنا الأول وأنا الآخر...منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه»**[٢٠٩]. **ومن هذه الآيـة يتـضح أيـضا أن «الأول والآخر» قد أرسل بواسطة اثنين، هما «السيد الرب» و« روحـه»، إن كان يبدو أحدهما غير الآخر، إلا أنهما في الواقع كائن واحد، هو «الرب».**

أدلة صحة شهادة التوراة:

فضلاً عن أن الآيات السابق ذكرها مسجلة بـالوحي الإلهـي فـي الكتـاب المقدس، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في صدقها[٢١٠]، فهناك أدلة عقلية كثيرة تؤيد أيضا صدقها، نكتفي منها بما يأتي:

١. **الذين كتبوا هذه الآيات، وهم موسى وداود وإشعياء، لـم يكونـوا مـن** الوثنيين، بل من المؤمنين الذين يعتقدون اعتقاد راسخاً بوحدانية الله وعدم وجود

---

٢٠٨ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر أمثال الأصحَاحُ ٣٠ الآية ٤.

٢٠٩ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحَاحُ ٤٨ الآيات ١٢-١٦.

٢١٠ راجع كتاب التوراة والإنجيل كلمة الله المعصومة.

أي تركيب فيه، كما يتبين لنا من أقوالهم في التوراة.

فموسى هو الذي سجّل قول الله عن نفسه: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ...لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي»[٢١١].

وداود هو الذي قال: «قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لا شَيْءَ غَيْرُكَ ....تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ آخَرَ»[٢١٢].

وإشعياء هو الذي سجل قول الله عن نفسه: «أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلا إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟»[٢١٣].

وبما أنهم بجانب هذه الأقوال، قد شهدوا في الآيات التي ذكرناها في ثالثاً سابقا، ما يُستنتج منه أن الله ليس أقنوماً واحداً بل أقانيم، إذن لا سبيل للظن أنهم نقلوا هذه الآيات عن الوثنيين، بل من المؤكد أنهم نقلوها من الله رأساً، كإعلان تفصيلي عن ذاته.

٢. **هذه الآيات ونظائرها، لا ترد في بعض أجزاء التوراة دون البعض الآخر، بل ترِد في أجزائها بلا استثناء**، وقد كُتبت في عصور متباينة ومتباعدة، وبواسطة أشخاص يختلف بعضهم عن بعض الآخر في الثقافة والسن والنشأة والبيئة اختلافاً عظيماً، وهي لا ترد مصحوبة بأي إشارة لإثبات صحتها، أو توجيه النظر إليها بصفة خاصة، بل ترِد في سياق الكلام العادي دون أية إشارة من هذا النوع، إذن فلا مجال للظن بأنهم كتبوها إلا بوحي الله، لأن وحيه واحد لجميع الأنبياء علي اختلاف عصورهم وظروفهم، ولأن الله لا يحتاج إلى برهان بشري يُثبت صدقه، إذ أنه يحمل في ذاته طابع الصدق، الذي لا يأتيه الباطل من ناحية ما.

---

[٢١١] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر خروج الأَصْحَاحُ ٢٠ الآيات ١و٢.

[٢١٢] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور١٦ الآيات ٢ و ٤.

[٢١٣] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأَصْحَاحُ ٤٥ الآية ٢١.

٣. أخيراً، لو كانت هذه الآيات مدوّنة في توراة يحتفظ بها المسيحيون فحسب، لكان هناك مجال للطعن في صدقها، بدعوى احتمال تأليف بعض المسيحيين لها، لتأييد عقيدة التثليث التي يؤمنون بها. لكن التوراة التي يحتفظ بهـا المسيحيون والمدونة فيها هذه الآيات، هي بعينها التوراة التي يحتفظ بها اليهود أنفسهم. لذلك فالطعن أو التشكك في صدق الآيات المذكورة، لا يقوم على أساس.

❖ شهادة الإنجيل (العهد الجديد) للأقانيم:

وجاء أيضاً في الإنجيل أن روح الله هو مصدر الحكمـة والنظـام وحيـاة الكون، وأنه يُلهم الأنبياء ويعطي القوة والحكمة للرؤساء والقضاة ولشعب اللّـه، وأنه يعلّم ويختار ويحزن ويغتاظ. ومن كلام الرسل يظهر أنه إله يستحق العبادة، وأنه يمنح بركات ثمينة. وقال المسيح عن الروح إنه أقنوم معـروف متميـز إذ وعد تلاميذه أنه يرسله إليهم معزياً لينوب عنه، ويعلّمهم ويقويهم، ويبيّن لهم أنه يجب عليهم أن يقبلوه ويطيعوه[٢١٤]. وهكذا نرى أن إعلانات هذا السـر التـي كانت أولاً غير واضحة أخذت تتجلي تدريجياً حتـى اتـضحت فـي الإنجيـل، وصارت إيمان جميع المؤمنين.

هناك آيات كثيرة في الإنجيل تدل على أن وحدانية الله هي وحدانية جامعـة، أو بتعبير آخر: إن الله ليس أقنوماً واحداً بل أقانيم، منها عل سبيل الذكر:

١. وقت معمودية المسيح:

فقد خاطبه الآب وحل عليه الروح القدس مثل حمامة. وهذا يرينا الآب والابن والروح القدس في وقتٍ واحدٍ معاً، «**فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ (الابن) صَعِدَ**

---

[٢١٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين اَلأَصْحَاحُ ١ الآية ٢ واَلأَصْحَاحُ ٦ الآية ٣ ومتّى اَلأَصْحَاحُ ١٢ الآية ٣١ ولوقا اَلأَصْحَاحُ ١٢ الآية ١٢ ويوحنا اَلأَصْحَاحُ ١٥ الآية ٢٦ و اَلأَصْحَاحُ ١٦ الآيات ٧، ١٣، ١٤ وأعمال الرسل اَلأَصْحَاحُ ٥ الآيات ٣-٩ واَلأَصْحَاحُ ١٦ الآيات ٦و٧، ورومية اَلأَصْحَاحُ ٨ الآية ٩ و١كورونثوس اَلأَصْحَاحُ ١٢ الآية ١١ و٢كورونثوس اَلأَصْحَاحُ ٣ الآية ١٧ وغلاطية اَلأَصْحَاحُ ٤ الآية ٦، وفيلبي اَلأَصْحَاحُ ١ الآية ١٩، و١بطرس اَلأَصْحَاحُ ١ الآية ١١.

لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ (الروح القدس) نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ(الآب) قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»[٢١٥].

٢. عطية المسيح لشعبه:

وفي الليلة التي أُسلم فيها المسيح تحدث إلى الآب، ووعد التلاميذ أن يرسل لهم الروح القدس[٢١٦]. فأوضح بذلك أقنوميته كابنٍ للّه، وألوهية كلٍ من الآب والابن والروح القدس. «وَأَنَا (الابن) أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ (الروح القدس) الَّذِي لا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لا يَرَاهُ وَلا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ»[٢١٧].

٣. تأكيد العطية:

«ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللَّهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخاً: «يَا أَبَا الآبُ»[٢١٨].

٤. – بركة العهد الجديد لشعب الرب:

«نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللَّهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ»[٢١٩]. وهي طلب نعمة المسيح من المسيح ومحبة الآب من الآب وشركة الروح القدس من الروح القدس. فكلمات هذه البركة تتضمن الإقرار بأقنومية كلٍ من الآب والابن والروح القدس وألوهيتهم[٢٢٠].

---

[٢١٥] متّي الأَصْحَاحُ ٣ الآيات ١٦و١٧، قارن مع مرقس الأَصْحَاحُ ١ الآيات ٩-١١، ولوقا الأَصْحَاحُ ٣ الآيات ٢١و٢٢.

[٢١٦] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحَات ١٤-١٦.

[٢١٧] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحُ ١٤ الآيات ١٦و١٧.

[٢١٨] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل غلاطية الأَصْحَاحُ ٤ الآية ٦.

[٢١٩] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الثانية لأهل كورنثوس الأَصْحَاحُ ١٣ الآية ١٤.

[٢٢٠] الإنجيل، رسالة الرسول بطرس الأول الأَصْحَاحُ ١ الآية ٢ ويهوذا الآية ٢١.

٥.– السلام مع الله:

«لأَنَّ بِهِ (بالمسيح) لَنَا كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ(الروح القدس) إِلَى الآبِ»[٢٢١].

٦.– وصية الرسول يهوذا للكنيسة:

«وأما انتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس مصلين في الروح القدس. واحفظوا أنفسكم في محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية»[٢٢٢].

٧. – وفي نهاية خدمة الرب يسوع المسيح أرسل تلاميذه قائلاً: «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»[٢٢٣]. فالعماد في المسيحية، هو خدمة دينية، تمارس للدلالة على موت المؤمن بالمسيح عن الخطية، وقيامته بحياة روحية جديدة يحيا بها لمجد الله دون سواه. بقراءة هذه الآية قراءة جيدة يتبين منها الآتي:

إنها لا تقول **بأسماء «الآب والابن والروح القدس»، بل «باسم الآب والابن والروح القدس».** وكلمة «باسم» المفردة، تدل بكل وضوح على أنه لا يقصد بالأقانيم ثلاث كائنات، بل كائن واحد، هو بذاته «الآب»، ناطق بكلمته وهو «الابن»، وحي بروحه وهو «الروح القدس».

ورُبَّ قائل يقول: إن استعمال كلمة «اسم» ليس دليلاً قاطعاً علي أن «الآب والابن والروح القدس» كائن واحد، فمن المحتمل أن يكونوا ثلاثة كائنات منفصلة، وكل منهم مضاف على حد إلى كلمة «اسم»، ولكن لا مجال لمثل هذا الاعتراض، إذا عرفنا الحقيقة اللغوية لحرف الجر اليوناني، والموضوع بين

---

٢٢١ الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل أفسس الأصحاح ٢ الآية ١٨.

٢٢٢ الإنجيل، رسالة الرسول يهوذا الآية ٢٠و٢١.

٢٢٣ الإنجيل، إنجيل الرسول متي الأصحاح ٢٨ الآية ١٩.

كلمتي «الآب» و«الابن»، فهو دليل لغوي على أنه يُقصد بالأقانيم الثلاثة، كائن واحد، لأنهم لو كانوا غير ذلك لاستعمال بدلاً من حرف العطف المذكور، العلامة التي تدعى في اللغة «الفاصلة» «،».

لزيادة الإيضاح نقول:

إذا أريد التعبير عن مجيء ثلاثة أشخص أحدهم محام، وثانيهم طبيب، وثالثهم مهندس، فإنه بحسب قواعد اللغة اليونانية يُقال «***جاء محام، طبيب ومهندس***» **بوضع فاصلة بين الاسمين الأول والثاني، وحرف عطف بين الاسمين الثاني والثالث. أما إذا أريد التعبير عن مجيء شخص واحد، هو محام وطبيب ومهندس في نفس الوقت، فإنه يُقال: «جاء محام وطبيب ومهندس»،** بوضع حرف عطف بين كل من الاسمين الأول والثاني، والاسمين الثاني والثالث. وهذه هي نفس الصيغة المستعملة في الآية «**باسم الآب والابن والروح القدس**»، الأمر الذي يدل على أنه يقصد بهم كائن واحد، وليس سواه. وهذه الأدلة ليست الأساس الوحيد لإيمان الكنيسة بالتثليث، لأنه مؤسس على الخصوص على ما يعلّمه الإنجيل:

(أ) في وحدانية الله.

(ب) في أقنومية الآب والابن والروح القدس وألوهية كل منهم. وخلاصة ما حصّلته الكنيسة من تعليم الكتاب هو وجود إلهٍ واحد في جوهر واحد وثلاثة أقانيم متساوين في المجد، ولكل منهم صفات اللاهوت.

إن المراد من «**الآب والابن والروح القدس**» كائن واحد فحسب، وعلى المعترضين الذين يعتقدون أن «**الآب**» هو وحده الله، التسليم بأن « **الابن والروح القدس**» واحد معه في الجوهر أو الذاتية، وبالتالي أن «**الآب والابن والروح القدس**» هو الله. يتضح لنا من الغرض الروحي من العماد وهو الخضوع المطلق والتكريس الكامل، وبما أن هذا لا يكون إلا لله، ولله وحده، لذلك لا جدال في أن «**الآب والابن والروح القدس**»، الذين نعتمد باسمهم، هم الله.

هل يلزم رفض تعليم مُعلَنٍ من اللّه لأننا نعجز عن إدراكه؟

لا، لأن عقولنا محدودة، عاجزة بقدر ما عندنا الآن من النـور عـن إدراك الأسرار الدينية في طبيعة اللّه. ولذلك يعلن اللّه لنا في كتابه العزيز بوحي الروح القدس عن شخصه الكريم ما لا يمكن أن ندركه من أنفسنا بقوة عقولنـا القاصـرة. وليس في هذا الإعلان شيء ضد العقل، ولكنه يسمو على العقـل، فينيـر الـروح القدس العقل والقلب ليدرك من الإعلان الإلهي ما يعجز عـن إدراكـه بالعقـل البشري.

وفي الإعلانات الإلهية تعاليم أخرى غير التثليث، كالتجسد والكفارة وحلـول الروح القدس فينا وتجديده إيانا وتقديسنا وقيامة الأجساد والحياة الأبديـة، وهـي أسرارٌ يعجز العقل البشري عن فهمها، لا لسموّها في ذاتها فقط، بـل لأن اللّـه جعلها في علمه وحده، واللغة البشرية قاصرة عن إيضاح أسـرارها. ولـذلك لا يصح أن نرفضها بسبب عدم إدراك كنهها.

ولم ينفِ كتَبة الأسفار المقدسة أن في إعلاناتهم وتعاليمهم أسراراً غامضة لا تُدرك، بل أثبتوا ذلك، فقال موسى: «**السرائر للرب إلهنا والمعلَنات لنا ولبنينا**»، وقال بولس: «**لأَنَّنَا نَعْلَمُ بَعْضَ الْعِلْمِ وَنَتَنَبَّأُ بَعْضَ التَّنَبُّؤِ**» و«**فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ فِي لُغْزٍ، الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ**». وقال بطرس إن في رسائل بـولس أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهـلاك أنفسهم. «**ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! فَالإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لا يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللّهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلا يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيـهِ رُوحِيّاً**». ولا شك أن قبول هذه الأسرار الدينية يستلزم روح التواضـع، طاعـة لقول الرسول «**إننا نهدم ظُنُوناً وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللّهِ، وَمُـسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ**». ولذلك كان استئصال الأسرار من الإنجيل كفراً.

هـذه الحقائق أعلى من العقل ومع ذلك نقبلها بثقة وفرح لأنهـا إعـلان الله الذي يحبنا ولا يمكن أن يخدعنا، أيضاً إن كنت تخضع الله لمفاهيمـك البـشرية

فإنك تحاول المستحيل لأنـــك محـــدود والله غيـــر محـــدود. يقـــال إن القـــديس أغسطينوس كان يسير على شاطئ البحر يوماً وهو مشغول بهذه الفكرة: كيف أن الله واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، عندما رأى طفلاً يحفر في الرمل حفرة ثـــم يملأها من البحر بواسطة دلو صغير والحفرة لا تمتلئ، فسأل الطفل **«ماذا تريد أن تفعل؟» فقال «أريد أن أنقل هذا البحر الكبير ليكون لي أنا في حفرتي». فقال القديس أغسطينوس** لنفسه: **«هذا عين ما أفعله الآن. إني أحاول أن أضـــع الله غير المحدود في حفرة عقلي المحدود».**

❖ مشكلتين في التفسير والهرطقات

وهنا وجدت الكنيسة نفسها أمام مسألتين أو مشكلتين في التفسير:

١- المشكلة الأولى عقلانية،

فلم يستطع البعض أن يُعبّروا عن ثلاثة أقانيم أو ثلاثة أشـــخاص فتمـــسكوا بالوحدانية المطلقة وحاولوا حل المشكلة العقلانية، فاعتبروا المسيح كائن مخلوق، فاعتبره آريوس أعظم المخلوقات، فانحرف لاهوتياً لأنه لم يقل إن المسيح جوهر واحد مع الآب أو مساوٍ له، فلا يقدر إنسان أن يقـــول يـــسوع رب إلا بـــالروح القدس[٢٢٤]، وتبع نفس الفكر آخرون مثل لوسيان وغيره وهو نفس الفكر الحالي لمحمد مجدي مرجان، في كتاب **«الله واحد أم ثالوث»**

٢- والمشكلة الناتجة عن الاتجاه الأخلاقي:

رأى البعض أن المسيح هو النموذج والمثال الذي ينبغي على كل مـــؤمن أن يقتفي أثره، فطبقوا ذلك على أن المسيح ترك لنا مثالاً لنتبعه (مع أن المقـــصود هنا هو أن المسيح قد ترك لنا مثالاً في احتمال الألم والتجربة)، وأكدوا فكـــرهم بما قاله الرسول بولس: **«تمثلوا بي كما أنا بالمسيح»**، ولا يجب القـــول بأننـــا يجب أن نحتذي أثر الله، فوجدوا إنه ليتحدثوا عن المسيح كمثال أو نموذج يُحتذى

---

[٢٢٤] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأول لأهل كورنثوس الأصحاح ١٢ الآية ٣.

يجب أن ننظر إليه باعتباره إنساناً فقط، وظهرت الفكرة بطرق مختلفة في الحديث عن طبيعة المسيح وقابليتها للخطية مع أن الكتب المقدسة تخبرنا أنه بلا خطية. (وفي القرن الثامن عشر في اسكتلندا كان هذا الموضوع هو أهم من يشغل العقول المفكرة من قادة الفلسفة الذين نادوا بذلك الاتجاه، ولكن شكراً لله فقد شاهد ذلك القرن انفصال الفلسفة عن اللاهوت فالفلسفة تساعد على الشرح، ولكنها لا تفسر كل الأمور اللاهوتية).

ومنذ البداية كانت هناك محاولتان لحل المشكلتين العقلانية والأخلاقية:

١- **الحل الأول نادى به آريوس فاعتبر المسيح مخلوقاً والروح القدس مخلوقاً**، فرفضت الكنيسة هذا الرأي في مجمعها المسكوني الأول في نيقية ٣٢٥م. وإن كان هذا الفكر ظل في رأي سوسينوس.

٢- **الحل الثاني نادى به سابليوس** في روما في أوائل القرن السادس عشر، وقال إن العبارات الآب والابن والروح القدس **ما هي إلا أسماء للإله الواحد وقد قبل هذا الفكر البابا (كالستس)**. وخطأ هذا الفكر هو تتابع أدوار الله وليس تزامنها، فلا تكون قائمة في نفس الوقت واستخدام فكرة قناع الممثل المتعدد الأدوار والذي لا يقدر أن يقوم بدورين في وقت واحد.

وعانت الكنيسة من العديد من الهرطقات، ولكن كانت الفائدة هي صياغة العقيدة حتى لا ينحرف آخرون. ولعلاج هذه الهرطقات احتاجت الكنيسة لمفردات جديدة مثل كلمة أقنوم وكلمة شخص للتعبير عن وحدانية الله الجامعة المثلثة الأقانيم.

❖ كلمة شخص:

وهي مفهومه في العربية، وفي الإنجليزية **Person** من أصل لاتيني، ولكن تطور معناها ومفهومها بتطور علم النفس، ومنذ البداية رفضتها الكنيسة لأن سابليوس استخدمها بمعنى قناع (وهرطقة عدم التزامن).

كلمة أقنوم: وقد فُضل استخدامها عن كلمة (برسون)، **وكلمة أقنوم سريانية**

الأصل وهي في اليونانية (هتوستيس)، ثم جاءت محاولة تفسير ما هو الأقنوم والبعض قال ممكن يكون فعل من كلمة وتنطق (إنرجيا) وهي كلمة الطاقة في الإنجليزية (Energy)، ولكن الترجمة الأفضل (Activity)، وإن كان هذا الفكر قد رفضته الكنيسة الخلقدونية. (التي تؤمن بالطبيعتين...أقنوم واحد)[٢٢٥].

والبعض قال إنه مشيئة واحدة وطبيعتين متميزتين والبعض قال بذلك نفهم الطبيعة بالمشيئة. واعتقد البعض بمشيئة واحدة وسمي هؤلاء منوفوسيين من Monophothelites أي المشيئة الواحدة، وهذا هو فكر الكنيسة المارونية التي عادت فانضمت للكنيسة الكاثوليكية وقالت بالمشيئتين، ولكن الكنيسة في ٦٨١م في مجمعها المسكوني السادس رفضت هذا التفكير فهو لا يتناسب مع صلاة يوحنا ١٧ عندما يخاطب المسيح الله الآب «لتكن لا إرادتي بل إرادتك»، فهنا يتضح الإرادتان والمشيئتان.

وإن كان من الصعب تعريف كلمة أقنوم (الابن حامل ذات جوهر الآب وطبيعته) فقد بقي استخدامها ليومنا هذا لتُعبِّر عن سر التجسد، فأنى لنا أن نفهم طبيعة الله ونشرحها، فعظيم هو سرُّ التقوى الله ظهر في الجسد[٢٢٦].

واستخدمت الكنيسة كلمة **جوهر** للتعبير عن أن المسيح الابن والآب والروح القدس **جوهر** واحد، ولعل حيرتنا في تعريف كلمة أقنوم تجعلنا نرجع لقول مارتن لوثر في القرن السادس عشر «**لا شأن لنا بما فوقنا**» ،أما كالفن فيقول لا أستطيع أن أفكر في الله الواحد إلا من خلال الثالوث ولا في الثالوث إلا من خلال الله الواحد.

ولا يهمنا من هذه المرحلة الفكرية إلا تأكيد أن الكل اتفقوا على العقائد الكتابية من حيث أن الله واحد قد تجسد في المسيح بسرّ يفوق عقولنا وأن الآب

---

٢٢٥ راجع معنى الأقنوم الفصل الرابع.

٢٢٦ الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأول لتيموثاوس ألأصحَاحُ ٣ الآية ١٦ و رسالته الثانية لأهل كورنثوس ألأصحَاحُ ١٢ الآية ٣.

والابن والروح القدس جوهر واحد في ثلاثة أقانيم.

❖ صياغة العقيدة:

ولقد اتفقت الكنيسة في كل زمان ومكان على هذه الحقائق وإن كان هناك اختلافات اصطلاحية وتاريخية ولكن الحقيقة واحدة لا تتغير، أما من انحرف عنها فقد رفضته أو عزلته الكنيسة عندما انحرف عن الحق الإلهي، كما يتضح ذلك من التاريخ الطويل للكنيسة، والذي يمكن إيجازه فيما يلي من حيث محاولة حل اللغز الخرستولوجي.

وفي الجدول تبسيط لتاريخية ذلك الفكر مع تعريف بفكر الفرق الأربع :

١- **الملكية يعتقدون** أن السيد المسيح، المولود من السيدة مرتمريم، أقنوم واحد إلهي وهو المولود من الآب قبل كل الدهور، وأنه طبيعتان، طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وفعلان فعل إلهي وفعل بشري، ومشيئتان مشيئة إلهية ومشيئة بشرية. وأن السيدة مرتمريم والدة الإله، بقولهم أقنوم واحد إلهي.

٢- **وأما النسطوريون**، فيعتقدون أنه أقنومان، أقنوم إلهي وأقنوم بشري، وطبيعتان طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وفعل واحد إلهي، ومشيئة واحدة إلهية، وأن مرتمريم ليست والدة الإله.

٣- **وأما اليعاقبة فيعتقدون أنه** أقنوم واحد إلهي، وطبيعة واحدة إلهية، وفعل واحد إلهي، ومشيئة واحدة إلهية.

٤- **والموارنة يقولون** أقنوم واحد إلهي وطبيعتان إلهية وبشرية، وفعل واحد إلهي، ومشيئة واحدة إلهية.

وهذا الاقتباس من مقال بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي (الكاثوليكي الملكي الخلقدوني) وهو يستهل مقاله: «**بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الموحد جوهره، المثلثة أقانيمه**».

الفصل الثامن

ما هي لزوم هذه العقيدة؟

وقبل أن أختم حديثي هذا أود أن أقول إن الإيمان بعقيدة الله المثلث الأقانيم تحل بعض المشاكل اللاهوتية الفقهية، التي لا نجد لها حلاً بغير هذه العقيدة التي أعلنها الله في كلمته المقدسة.

نعلم أن الله يتصف بصفات منها السمع والبصر والكلام والعلم والإرادة والمحبة، كما نعلم أنه ذاتٌ عاقلةٌ له علاقة مع غيره من الكائنات من بشر وملائكة - وواضح أن صفات الله هذه لم تكن ذات يوم عاطلة عن العمل ثم صارت عاملة بعد خلق الملائكة والبشر، بل إنها كانت عاملة فيه بدون وجود مؤثر من خارج ذاته تعالى.. **لأنه لو كان الأمر غير ذلك لكان الله قد تعرض للتغير، إذ يكون غير عاملٍ ثم صار عاملاً. وهذا مستحيل!**

ولما كانت ممارسة هذه الصفات لا تكون إلا بين كائنين عاقلين أو أكثر، تكون وحدانية الله ليست وحدانية بسيطة، ولا وحدانية مطلقة، بل وحدانية من نوع آخر لا نظير لها في الوجود، لأن كل شيء في الوجود - حتى الذرة - مكون من أجزاء!

وحدانية الله إذاً شاملة جامعة لكل ما هو لازم لوجود صفات الله بالفعل، بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها، لأنه بذلك يكون تعالى منذ الأزل الذي لا بدء له عالماً ومعلوماً، وعاقلاً ومعقولاً، ومريداً ومراداً، وناظراً ومنظوراً، وسامعاً ومسموعاً، ومحباً ومحبوباً.. الخ، دون أن يكون هناك تركيبٌ في ذاته أو شريك معه، فهو متَغنٍ بذاته عن كل شيء في الوجود.

وبما أن الله جوهر قائم بذاته، وبما أن هذا الجوهر له تعين (أي وجود واقعي يتميز بمميزات) - إذاً يكون الله واحداً من جهة، وجامعاً أو شاملاً من جهة أخرى، دون أن يكون هناك أي تعارض أو تناقض في ذاته. فهو واحدٌ من جهة جوهره، وهو جامع من جهة التعيُّن، وجوده الواقعي المتميز بمميزات.

وليس في هذا تفريقٌ بين جوهر الله وتعينه، فهو جوهر واضح ومعين لأن التعيُّن من مستلزمات كل موجود حقيقي.

إن وحدانية الله وحدانية جامعة إذاً، وليس هذا غريباً، فالله عجيب في ذاته ولا يمكن فهم هذا إطلاقاً، فإن الله يسمو فوق العقل ولو أنه ليس ضد العقل، لأنه يجب أن نؤمن أن وحدانية الله هي وحدانية بسيطة أو مطلقة، أو أنها وحدانية جامعة مانعة.

فإن قلنا أنها وحدانية بسيطة نفينا عنه الذات والصفات، مع أنه صاحب ذات وله صفات...وإن قلنا إنها وحدانية مُطلَقة افترضنا أن صفاته كانت بلا عمل في الأول، وهذا يعني أنه متغير ومتطور بدخوله في علاقة مع الكائنات التي خلقها، وهذا باطل.

إذاً من المؤكد أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة، أي أنها متميزة بتعيُّنات لأن هذه التعينات هي الخصائص الأصلية الذاتية لوحدانية الله المتصف بكل صفات الكمال والذي كانت صفاته بالفعل، منذ الأزل الذي لا بداية له، وستبقى إلى الأبد الذي لا نهاية له وهذا يتوافق مع كماله التام واستغنائه عن كل شيء في الوجود وعدم تعرضه للتطور والتغير بأي شكل من الأشكال.

وقد اصطلح رجال علم اللاهوت المسيحيون على تسمية الوجود الواقعي لله بأنها «أقانيم الله». وأقانيم (مفردها أقنوم) كلمة سريانية يطلقونها على كل من يتميز عن سواه. والأقانيم مع تميُّز أحدهم عن الآخر في الأقنومية هم واحدٌ في الجوهر بكل خصائصه وصفاته ومميزاته، لأنهم ذات الله الواحد.

إن كانت وحدانية الله وحدانية مطلقة فإننا نسأل: لماذا خلق الله العالم؟

١- كيف استطاع الله الخالق أن ينتقل من حالة التنزه عما سواه، إلى قيامه بالخلق وصيرورته خالقاً؟ أليس ذلك «صيرورة»؟ إنه يعني التغيُّر والتبدُّل؟

٢- لم يكن ممكناً أن تُظهر قدرة الله قبل الخلق، لأنها إنما ظهرت بالخَلْق. قبل الخلق كانت قدرته كامنة غير عاملة. فإذا قلنا إن عملية الخلق كانت لازمة

لإظهار قوته، فقد نسبنا إليه تعالى النقص والاعتماد على الغير!

٣- إن الخلق في هذه الحالة هو بدء علاقة بين الخالق وخليقته. وهذه العلاقة هي بمثابة بدء حياة جديدة لكائن ما. وهذا يناقض التنزيه!

٤- إن العلاقات بين الله وخليقته تقتضي الأثر والانفعال المتبادل، فالكلام يقضي أن السامع يسمع صوت من يخاطبه - وهذا يناقض التنزيه! إذاً كيف يمكن للإله أن يخرج من حيز الفعل ويدخل حيز الانفعال.

❖ أما عقيدة التثليث فإنها تحل هذه المشاكل.

١- لم يحدث لله «تغيّر» عندما خلق العالم، ولم ينتقل من حالة القُدرة الكامنة إلى حالة القدرة الخالقة. لكن الخلق صادر من محبته الكامنة فيه منذ الأزل، المحبة جوهر ذات الله، كانت عاملة فيه منذ الأزل فالآب يحب الابن من قبل الخلق كله! والابن يحب الآب، وكلاهما يحبان الروح القدس. إذاً عقيدة التثليث تحل هذه المعضلة ولا حل بسواها.

٢- الاعتقاد بإله مثلث الأقانيم يدل على أن خلق العالم لم يكن بداية العلاقات بينه وبين غيره، فقد كانت علاقاته موجودةً منذ الأزل بكلمته وبروحه القدوس.

٣- الاعتقاد بالثالوث يحل مشكلة الانفعال، لأنها تُعلم أن الله محبة، والمحبة أزلية بين الأقانيم الثلاثة، واستمرت بعد ذلك بين الله والبشر. هي محبة الله التي تستجيب الصلاة. **«وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني»**[٢٢٧] **«اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم»**[٢٢٨] وهذا هو تواصل الله مع البشر واستجابته لهم. وهو نفسه ما يُعلّمه الإنجيل من أن الله المُحب، الذي في السماوات، هو الذي يُشجعنا أن نتصل به ونطلب منه.

إننا لا نستطيع أن نحل هذه المشكلة إلا بإيماننا بالتثليث المقدس. أيها الأحباء

---

٢٢٧ القرآن، سورة غافر الآية ٦٠.

٢٢٨ الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحَاحُ ٧ الآية ٧.

إننا نريد أن نتعرف على الله كصديق لنا، قال المسيح: **«لا أسميكم عبيداً بل أحباء»**. نريد أن نتعلم كيف نُحب الله فنفهمه فهم الاختبار ونعرفه معرفة الحب ونقول له ما قاله رسول المسيحية يوحنا: **«نحن نُحبُّهُ لأنه هو أحبنا أولاً»**[٢٢٩].

---

[٢٢٩] الإنجيل، رسالة الرسول يوحنا الأولى الأصحاح ٤ الآية ١٩.

الفصل التاسع:

ما هو التثليث الذي حاربه الإسلام؟

تعتقد المسيحية أن الله واحد الذات، مثلث الأقانيم. وهي بذلك لا تنافي الوحدانية، لأنها لا تُعلّم بتعدد أو ولادة تناسلية، كما ينعتها مناوئوها. فالقول بأن الإسلام قد حارب المسيحية في هذا المعتقد قول مردود، فهو لم يحارب ثالوث المسيحية الصحيحة، وإنما حارب تعليمًا يقول بالتعدد والإشراك والولادة التناسلية. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

أمّا ثالوث المسيحية الأقدس فقد تكلم عنه القرآن بكل تقديس وتبجيل، مما يؤيد القول بأنه حارب معتقدًا غير المعتقد الذي ندين به، وتعلمنا إيّاه المسيحية الحقة، يثبت ذلك من:

❖ **التثليث الذي حاربه القرآن هو تثليث التعدد والإشراك:**

قلنا إنّ المسيحية تعلم بتثليث لا ينقض الوحدانية أو ينافيها، فهي تؤمن بالآب والابن والروح القدس إله واحد في جوهره. وهي لا تعلّم قط بتعدد الآلهة، بل تنكر هذا التعليم إنكارًا كليًا. وقانون إيماننا يبدأ بالقول: نؤمن بإله واحد. ولو كانت المسيحية تقصد بالتثليث التعدد والإشراك لما صرحت بأن هذا التعليم فوق الإدراك، وهي لم تصرح بذلك إلا لما تعتقده من عدم مناقضته لوحدانية الله. والثابت المقرر أن الإسلام حارب تعليمًا يشير إلى تعدد الآلهة أو الإشراك بالله.

قال في سورة النساء ٤: ١٧١: ﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»...«إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [٢٣٠]،﴿واتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا

---

[٢٣٠] القرآن، سورة المائدة ٥ الآيات ٧٢ و٧٣.

﴿إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣١]. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ [٢٣٢].

فواضح من هذه الآيات أنها تحارب تعليمًا يحمل معنى الإشراك بالله وتعدد الآلهة، وأنها تدعو إلى الإيمان بوحدانية الله. وبما أن المسيحية لا تعلّم بإشراك ولا بتعدد بل تؤمن بإله واحد، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فيثبت إذًا أن الإسلام إنما حارب تثليثًا غير ثالوث المسيحية، وتعليمها، وعقيدتها...

والذي يؤيد هذه الحقيقة الآية الأخيرة، على نوع خاص، إذ أشار فيها إلى اعتبار العذراء القديسة مريم ركنًا من الأركان الثلاثة حيث تقول: «**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟**» والحق أن المسيحية لم تعتقد يوماً ما بتأليه العذراء أو باعتبارها ركناً من أركان الثالوث الأقدس في الإله الواحد.

وإذاً فقد تقرر أن هذا التعليم الذي أراد الإسلام أن يحاربه كان تعليمًا منافياً لتعليم المسيحية، بعيدًا عن معتقدها البعد كله. ويظهر أن حملات الإسلام على هذا التعليم كانت موجَّهة ضد بدعة كانت قد ظهرت ونادت بتأليه العذراء القديسة مريم. وهذه البدعة لم يتجند لحربها الإسلام وحده، بل لقد حاربتها المسيحية حربًا لا هوادة فيها حتى قضت عليها. فالإسلام في حملاته هذه إنما كان متجندًا مع المسيحية جنبًا لجنب لمحاربة بدعة أبغضتها الكنيسة وقاومتها.

وفي آية بحثنا دليل آخر على هذه الحقيقة حيث تقول: «**إلهين من دون الله**». وتعليم المسيحية عن الثالوث لا ينطبق عليه هذا القول، فهي لا تعلّم بالمسيح إلهًا من دون الله، ولكنها تعلم أن المسيح والآب واحد بلا تعدد ولا

---

[٢٣١] **القرآن، سورة التوبة ٩ الآية ٣١.**

[٢٣٢] **القرآن، سورة المائدة ٥ الآية ١١٦.**

افتراق. وقد أشار المسيح إلى ذلك في قوله: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»[٢٣٣]. فمن كل هذه الوجوه يثبت أن تعليم التثليث الذي قاومه الإسلام لم يكن تعليم المسيحية عنه. وإنما كانت حربه موجهة ضد طوائف لا صلة بينها وبين المسيحية، ولا وجه للشبه بين عقيدتها وعقيدتهم.

وأما الآية التي تقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ ويستند إليها البعض خطأ زاعمين أن الثلاثة الذين ذُكروا فيها هم ثالوث المسيحية الأقدس، فتلك آية قيلت في حق طائفة المرقونية الذين لفظتهم الكنيسة وحرمت أتباعهم، لأنهم كانوا يقولون بتثليث باطل، ويؤمنون بثلاثة آلهة: عادل أنزل التوراة، وصالح نسخها بالإنجيل، وشرير هو إبليس.

كما حارب الإسلام طائفتي المانوية والديصانية اللتين تقولان بإلهين اثنين: أحدهما للخير وهو جوهر النور والثاني للشر، وهو جوهر الظلمة فقال في حقهم: ولا تتخذوا إلهين اثنين.

لقد كانت هذه الطوائف وأشباهها شر ما مُنيت به المسيحية قبل الإسلام وبعده ولا يزال حكمهم في الكنيسة حكم المذاهب الخارجة في الإسلام، الذين عَدَلوا عن الكتاب والسنّة، كطائفة النصيرية القائلة بأن الله جل شأنه حلّ في جسد علي بن أبي طالب وتكلم في لسانه. وإذاً فالإسلام لم يحارب تثليث المسيحية الصحيحة كما يظن البعض، والمسيحية لا تعتبر مقاومته تلك التعاليم المنافية لتعاليمها مقاومة لها.

❖ البنوّة التي حاربها الإسلام تناسلية

إن المسيحية في اعتقادها عن الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكلامها عنه (كابن) لا تقصد بنوّة تناسلية يسبق بها الوالد ولده، بل هي بنوّة معنوية يقصر العقل عن إدراكها. أما البنوّة التي حاربها الإسلام عند مقاومته تعليم

---

٢٣٣ الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاح ١٠ الآية ٣٠.

التثليث فهي بنوّة تناسلية، مخالفة كل المخالفة للعقيدة المسيحية في بنوّة المسيح، وإليك الآيات التي أشار فيها إلى هذا التعليم وقاومه فيها:

﴿وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ﴾ [٢٣٤]. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [٢٣٥]. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [٢٣٦]. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ [٢٣٧]. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [٢٣٨].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً...أَنْ ﴿دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَداً..وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [٢٣٩]. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً﴾ [٢٤٠].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ [٢٤١]. ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً﴾ [٢٤٢]. ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [٢٤٣].

تلك هي الآيات القرآنية التي أشارت إلى نسبة البنوّة لله، بولادة تناسلية، يدل على ذلك الصاحبة والولد. والمسيحية بريئة من هذه العقيدة كل البراءة. والإسلام في محاربته هذا التعليم إنما كان يحارب تعليماً غريباً عن تعاليم المسيحية. والمسيحية لا ترى هذه الحرب موجهة ضدها، ولا شأن لها بها.

---

[٢٣٤] القرآن، سورة النساء٤ الآية ١٧١.

[٢٣٥] القرآن، سورة الأنعام٦ الآية ١٠١.

[٢٣٦] القرآن، سورة يونس١٠ الآية ٦٨.

[٢٣٧] القرآن، سورة الكهف١٨ الآية ٤.

[٢٣٨] القرآن، سورة مريم١٩ الآية ٣٥.

[٢٣٩] القرآن، سورة مريم١٩ الآية ٨٨و٩١ و٩٢.

[٢٤٠] القرآن، سورة الأنبياء٢١ الآية ٢٦.

[٢٤١] القرآن، سورة المؤمنون٢٣ الآية ٩١.

[٢٤٢] القرآن، سورة الجن ٧٢ الآية ٣.

[٢٤٣] القرآن، سورة الإخلاص١١٢ الآية ١-٣.

❖ الخلاصة

إن القرآن في تعصّبه للوحدانية، ومحاربته لتعليم التثليث، لم يحارب ثالوث المسيحية، وهذه الحرب لم تضر المسيحية بشيء، بل هي على العكس من ذلك. قد أفادت المسيحية ووقفت في صفها إزاء تعليمها عن الثالوث الأقدس، لأنها على الأقل قد أثبتت أن هذا التعليم قديم يرتقي عهده إلى ما قبل ظهور الإسلام.

❖ عمانوئيل الله معنا

في سنة ٩٠٥ هـ دارت مناقشة عن معيّة الله، في اجتماع ضمَّ الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي، والشيخ زكريا، والشيخ برهان الدين بن أبي شريف، والشيخ إبراهيم المواهبي الشاذلي، وجماعة. وصنّف الشيخ إبراهيم رسالة هذا نصها:

بُحث في الاجتماع موضوع معيّة الله معنا، فقال الشيخ بدر الدين العلائي والشيخ زكريا والشيخ برهان: بل هو معنا بأسمائه وصفاته لا بذاته.

فقال الشيخ إبراهيم: بل هو معنا بذاته وصفاته. فسألوه:

ما الدليل على ذلك؟

فأجاب: قوله في القرآن والله معكم ومعلوم أن الله علم على الذات. فيجب اعتقاد المعيّة الذاتية ذوقًا وعقلاً، لثبوتها نقلاً وعقلاً.

فقالوا له: أوضح لنا ذلك. فقال: حقيقة المعيّة مصاحبة شيء لآخر، سواء واجبين كذات الله تعالى مع صفاته، أو جائزين كالإنسان مع مثله. أو واجبًا وجائزًا، وهو معيّة الله تعالى لخَلْقه بذاته وصفاته، المفهومة من قوله في القرآن والله معكم. ومن نحو إن الله مع المحسنين وإن الله مع الصابرين. وذلك لما قدمناه من أن مدلول الاسم الكريم الله إنما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعيّنة، لتعلقها بجميع الممكنات...وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي، إن قول المعتزلة وجمهور النجارية: إن الحق تعالى بكل مكان بعلمه

وقدرته وتدبيره، دون ذاته، باطل. لأنه لا يلزم أن من علم مكانًا أن يكون في ذلك بالعلم فقط، إلا إن كانت صفاته تنفكّ عن ذاته، كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق.

فسألوه: فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك؟

فقال: نعم، ذكر شيخ الإسلام ابن اللبان في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَ تُبْصِرُونَ﴾ [٢٤٤].

إن في هذه الآية دليلاً على أقربيته تعالى من عبده قربًا حقيقيًا، كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان. إذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده، قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير، مثلاً لقال ولكن لا تعلمون ونحوه. فلما قال: ولكن لا تبصرون دلّ على أن المراد به القُرب الحقيقي المدرك بالبصر، لو كشف الله عن بصرنا. فإن من المعلوم أن البصر لا يتعلق لإدراكه بالصفات المعنوية، وإنما يتعلق بالحقائق المرئية. قال وكذلك القول في قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٢٤٥].

هو يدل أيضًا على ما قلناه، لأن أفعل من قرب يدل على الاشتراك في اسم القرب، وإن اختلف الكيف، ولا اشتراك بين قرب الصفات وحبل الوريد، لأن قرب الصفات معنوي، وقرب حبل الوريد حسي، ففي نسبة أُقربيته تعالى إلى الإنسان من حبل الوريد، الذي هو حقيقي، دليل على أن قربه تعالى حقيقي، أي بالذات اللازم لها الصفات.

وقال الشيخ إبراهيم: وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته. وإن الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضًا، إذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالي كما مرَّ.

---

[٢٤٤] القرآن، سورة الواقعة٥٦ الآية ٨٥.

[٢٤٥] القرآن، سورة ق ٥٠ الآية ١٦.

فقال له العلائي: فما قولكم في قوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ»[٢٤٦]. فإنه يوهم أن الله تعالى في مكان؟

فقال الشيخ إبراهيم: لا يلزم من ذلك في حقه تعالى المكان، لأن أين في الآية أنما أُطلقت لإفادة معيّة الله تعالى للمخاطَبين في الأين اللازم لهم، لا له تعالى كما قدمنا، فهو مع صاحب أين بلا أين.

فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد المغربي الشاذلي، شيخ الجلال السيوطي. فقال: ما جمعكم هنا؟ فذكروا له المسألة،

فقال: تريدون علم هذا الأمر ذوقًا أو سماعًا؟ أجابوا: سماعًا. فقال: معيّة الله أزلية، ليس لها ابتداء. وكانت الأشياء كلها ثابتة في علمه أزلاً يقينًا بلا بداية، لأنها متعلقة به تعلّقًا يستحيل عليه العدم، لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم، واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن. وكما أن معيته تعالى أزلية، كذلك هي أبدية، ليس لها انتهاء. فهو تعالى معها، بعد حدوثها من العدم عينًا.

فأدهش الحاضرين بما قاله، فقال لهم: اعتمدوا ما قررته لكم في المعيّة واعتمدوه، ودعوا ما ينافيه، تكونوا منزّهين لمولاكم حق التنزيه، ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه. وإن أراد أحدكم أن يعرف هذه المسألة ذوقًا، فليسلّم قيادَه لي، أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده، وأدخله الخلوة، وأمنعه النوم وأكل الشهوات، وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسألة ذوقًا وكشفًا.

قال الشيخ إبراهيم: فما تجرأ أحد أن يدخل معه في ذلك العهد. ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا.

إنّ أقوال هؤلاء العلماء الأفاضل عن معيّة الله توضح أن حقيقة المعيّة هي مصاحبة شيء لآخر سواء كانا واجبين كذات الله مع صفاته، أو جائزين كوجود

---

[٢٤٦] القرآن، سورة الحديد٥٧ الآية ٤.

الإنسان مع مثله، أو واجبًا وجائزًا، وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قول القرآن والله معكم أو من قول الكتاب المقدس: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ – الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا»[٢٤٧]. أو من قول المسيح: «أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ»[٢٤٨].

وإذ تقرر ذلك أقول: إن حلول اللاهوت في الناسوت جائز. فليس كمعية الواجب للجائز. بل هو أسمى بما لا يُقاس. وإنما أوردت المعية لتوضيح هذه المسألة، أو تقريبها لعقولنا. فإن الإسلام يعترف بمعية الله لخلقه بذاته وصفاته، وهو أمر فوق عقل البشر. إذاً كيف يرفض عامة المسلمين اعتقاد المسيحيين بتجسد الكلمة؟

❖ الروح القدس في القرآن

حين ندرس آيات القرآن، نرى أن عددًا منها يتكلم عن الروح القدس وعن عمله في تأييد المسيح. وكان يمكن أن يتلاقى الفكر الإسلامي عن الروح المبارك مع الفكر المسيحي لولا ذهاب أكثرية علماء الإسلام في تفاسيرهم إلى القول إن الروح القدس هو الملاك جبريل. في ما يلي بعض آيات القرآن التي جاء فيها ذكر الروح المبارك.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [٢٤٩]. قال الحسن في تفسير الآية: القدس هو الله تعالى، وروحه جبريل عليه السلام، ومعنى القول، أعنّاه بجبريل في أول أمره، وفي وسطه وفي آخره. أما أول الأمر فلقوله: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾. وأما في وسطه، فإن جبريل عليه السلام علّمه العلوم وحفظه من الأعداء. وأما في آخر الأمر فحين أرادت اليهود قتله أعانه جبريل

---

[٢٤٧] الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحاح ١ الآية ٢٣.

[٢٤٨] الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحاح ٢٨ الآية ٢٠.

[٢٤٩] القرآن، سورة البقرة٢ الآية ٢٥٣.

عليه السلام، ورفعه إلى السماء.

وقال ابن عباس: أن روح القدس هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى. وقال أبو مسلم: إن روح القدس الذي أيِّد به يجوز أن يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه، وأبانه عن غيره ممن خلق من اجتماع نطفتي الذكر والأنثى.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٢٥٠). قال الإمام الرازي: اختلفوا في الروح على وجوه، أحدها أنه جبريل عليه السلام. وإنما سُمّي بذلك لوجوه:

الأول: أن المراد من روح القدس، الروح المقدس. كما يقال حاتم الجود ورجل صدق. فوصف جبريل بذلك تشريفاً له وبياناً لعلوّ مرتبته عند الله تعالى.

الثاني: سُمّي جبريل عليه السلام بذلك لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح، فإنه المتولي لإنزال الوحي إلى الأنبياء، والمكلّفون بذلك يحيون في دينهم.

الثالث: أنه الغالب عليه الروحانية كذلك سائر الملائكة. غير أن روحانيته أكمل وأتم.

الرابع: سُمّي جبريل عليه السلام روحًا، لأنه ما ضمّته أصلاب الفحول وأرحام الأمهات.

الخامس: المراد بروح القدس الإنجيل، كما قال القرآن روحًا من أمرنا.

السادس: أنه الروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى. فنسب روح عيسى عليه السلام إلى نفسه تعظيمًا له وتشريفًا، كما يُقال لبيت الله وناقة الله – عن الربيع .

وأعلم أن إطلاق اسم الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى الاسم الأعظم

---

٢٥٠ القرآن، سورة البقرة ٢ الآية ٨٧.

مجاز، لأن الروح هو الريح المترددة في مخارق الإنسان ومنافذه. ومعلـوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك، إلا أنه سُمِّي كل واحد من هذه الثلاثة بالروح علـى سبيل التشبيه. من حيث أن الروح كما أنه سبب لحياة الرجل فكذلك جبريل عليه السلام سبب لحياة القلوب بالعلوم، والإنجيل سبب لظهـور الـشرائع وحياتهـا. والاسم الأعظم سبب لأن يتوسل به إلى تحصيل الأغراض. إلا أن المشابهة بين مُسمَّى الروح وبين جبريل أتمّ لوجوه:

أحدها: لأن جبريل عليه السلام مخلوق من هواء نـوارني لطيـف، فكانـت المشابهة أتمّ، فكان إطلاق اسم الروح على جبريل أولّى.

وثانيها: أن هذه التسمية فيه أظهر منها فيما عداه.

وثالثها: إن قوله تعالى: وأيّدناه بروح القدس يعني قّويناه، والمراد من هـذه التقوية الإعانة. وإسناد الإعانة إلى جبريل حقيقة. وإسنادها إلى الإنجيل والاسـم الأعظم مجاز، فكان ذلك أولّى.

ورابعها: وهو أن اختصاص عيسى بجبريل من أحد وجـوه الاختـصاص، بحيث لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك، لأنه هو الذي بشر مريم بولادته، وإنما وُلد عيسى من نفخة جبريل، وهو الذي ربّاه في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حين صعد إلى السماء[٢٥١].

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [٢٥٢]. يقول الإمام الرازي: اختلف العلماء في المـراد بهـذا الروح. والصحيح أن المراد هو الوحي. وحاصل الكلام فيـه أن حيـاة الأرواح بالمعارف الإلهية والجلايا القدسية. فإذا كان الوحي سبباً لحصول هـذه الأرواح سُمّي بالروح، فإن الروح سبب لحصول هذه الحياة الروحانية. وأعلم أن أشرف

---

[٢٥١] التفسير الكبير ج ٣ ص ١٧٧،١٧٨.

[٢٥٢] القرآن، سورة غافر ٤٠ الآية ١٥.

الأحوال الظاهرة في روحانيات هذا العالم ظهور آثار الوحي، والوحي إنما يتم في أربعة أركان:

فأولها: الرسل وهو الله سبحانه وتعالى. فلهذا أضاف إلقاء الوحي إلى نفسه فقال يلقي الروح .

والركن الثاني : الإرسال والوحي وهو الذي سمّاه بالروح.

والركن الثالث: أن وصول الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الملائكة، وهو المشار إليه في هذه الآية بقوله: ﴿**من أمره**﴾. فالركن الروحاني يُسمَّى أمراً. قال تعالى: ﴿**وأوحى في كل سماء أمره**﴾.

والركن الرابع: الأنبياء الذين يلقي الله الوحي وهو المشار إليه بقوله من يشاء من عباده.

والركن الخامس: تعيين الغرض والمقصود الأصلي من إلقاء الوحي إليهم، وذلك هو أن الأنبياء عليهم السلام يصرفون الخلق عن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، ويحملونهم على الإعراض عن هذه الجسمانيات والإقبال على الروحانيات، وإليه الإشارة بقوله: «**لينذر يوم التلاق**» فهذا ترتيب عجيب يدل على هذه الإشارات العالية من علوم المكاشفات الإلهية[٢٥٣].

﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾ [٢٥٤]. قال **أهل التفسير:** في تفسير هذه العبارات قولان:

الأول: قال **ابن عباس:** نصرهم على عددهم، وسَمَّى تلك النصرة روحًا لأن بها يحيي أمرهم.

الثاني: قال **السدي:** الضمير في قوله منه عائد إلى الإيمان، والمعنى أنه أيدهم بروح من الإيمان.

---

٢٥٣ التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٤٤-٤٥.

٢٥٤ القرآن، سورة المجادلة ٥٨ الآية ٢٢.

﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٢٥٥]. قال أهل التفسير: اعلم أن عادة الله تعالى في القرآن أنه متى ذكر الملائكة في معرض التهويل والتخويف أفرد الروح بعدهم، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾. وهذا يقتضي أن الروح أعظم من الملائكة قدراً.

وقال بعض المكاشفين: أن الروح نور عظيم، هو أقرب الأنوار إلى جلال الله ومنه تتشعب أرواح سائر الملائكة. والبشر في آخر درجات منازل الأرواح، بين الطرفين مراتب الأرواح الملكية ومدارج منازل الأرواح القدسية، ولا يعلم كميتها إلا الله. وأما ظاهر المتكلمين فهو أن الروح هو جبريل عليه السلام[٢٥٦].

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [٢٥٧]. اختلفوا في الروح في هذه الآية. فعن ابن مسعود أنه ملك أعظم من السموات والجبال.وعن **ابن عباس**: هو ملك أعظم من الملائكة خلقاً. وعن **مجاهد**: خلق على صورة بني آدم. وعن **الضحاك والشعبي**: هو جبريل عليه السلام. ومن هذه كلها ترى أن تعبير الروح القدس من متشابه القرآن.

١- فقد يعني الملاك جبريل كما في قوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [٢٥٨].﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [٢٥٩].

٢- وقد يعني **روح القدس** الذي أيد المسيح في شخصيته أو دعوته ومعجزاته وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. يقول **الجلالان**: الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار وغيرهما يرون فيه ليس

---

٢٥٥ القرآن، سورة المعارج ٧٠ الآية ٣ و٤.

٢٥٦ التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٢٢.

٢٥٧ القرآن، سورة النبأ ٧٨ الآية ٣٨.

٢٥٨ القرآن، سورة النحل ١٦ الآية ١٠٢.

٢٥٩ القرآن، سورة البقرة ٢ الآية ٩٧.

فقط الروح المؤيد له في دعوته ومعجزاته، بل الروح المؤيد له في شخـصيته. ولم يكن مستقلاً عن ذاته: روح عيسى، ووصفها به لطهارته من مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى، أو لأنه لم تضمّه الأصلاب ولا الأرحام الطوامس، أو الإنجيل، أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى[٢٦٠].

فروح القدس الذي أيِّد به الله المسيح هو الاسم الأعظم. والاسم دليل الـذات، والفعل برهان الذات، فإحياء الموتى، والمقدرة على الخلق هما مـن خـصائص الذات الإلهية والاسم الأعظم. فروح القدس المحيي إما هو روح عيسى، وإما هو الاسم الأعظم ذات في الله غير الله، والمسيح كلمة الله، فهو مما استأثر بعلمه.

٣- فروح القدس الروح على الإطلاق هو روح من الله، في الله، يتمتع معه بالاسم الأعظم. وهذا هو تعليم الإنجيل أيضًا. وتأييد الله للمسيح بـه، لا يفارقـه ساعة يسير معه حيث سار دليل على صلة خاصة ذاتية بين روح القـدس والله، وبين روح القدس والمسيح كلمة الله، وتلك هي صورة التثليث المسيحي تتجلى لنا من تعابير القرآن نفسها.

❖ الله والكلمة والروح

فالقرآن إذًا، مع تكفيره لتثليث منحرف بتعابيره في الثلاثة يشير إلى تثليـث صحيح: الله والكلمة والروح. ولكي نزيد الأمر وضوحًا عن حقيقة العلاقة بـين المسيح وروح القدس، أو بالأحرى بين الأقانيم الثلاثة كما أشار إليهـا القـرآن. نقول إن الواقع القرآني هو أن في شخصية المسيح ازدواجية، فبحـسب ظـاهر القرآن أن المسيح عيسى ابن مريم هو بشر أي عبد لا ربّ، ومع ذلك أيضًا فهو بنص القرآن القاطع «روح الله» وروح الله في أدنى معانيه يعني أنه ملاك: فهل يكون المسيح بشرًا وملاكًا معًا؟ أي ملاكًا متأنّسًا؟ هذا حرف القرآن ومنطوقه!

عـلى كل حالٍ فالمسيح بشر، وأسمى من البشر معاً. وهذا برهان قاطع

---

[٢٦٠] البيضاوي في تفسيره للبقرة ٨٧.

على الازدواجية القرآنية في شخصية المسيح. انظر إلى التعبير القرآني لهذه العلاقة كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وهو تعبير فريد خاص بالمسيح وحده، لا مثيل له في القرآن كله. فقوله: «روح منه» يدل على المصدرية كما فسره البيضاوي: أي صدر منه. وهذا الصدور يفسّره الاسم الثاني المرادف له: كلمته. إن المسيح روح من الله يصدر منه صدور الكلمة من الذات الناطقة.

وهذا القيد والتخصيص يميّز المسيح روحًا منه تعالى بالصدور عن كل روح من الله بالخلق والإبداع. ويؤيد معنى المصدرية في روح منه تأييد المسيح بروح القدس في قوله: وأيدناه بروح القدس.

فإذا اعتبرنا أيدناه بروح القدس أنها روح المسيح الشريفة العالية القدسية – كما قال الرازي في تفسيره – التي تؤيد المسيح في ذاته وشخصيته، كان المسيح روح الله القدس، فهو أسمى من مخلوق. وإذا اعتبرنا أيدناه بروح القدس أنها روح القدس الذات القائمة بنفسها والتي تؤيد المسيح في سيرته ورسالته، كان المسيح أيضاً أسمى من مخلوق.

وفي كلا الحالين تأييد المسيح بروح القدس يرفعه فوق المخلوق.

قال الإمام أحمد بن حنبل: من قال إن روح القدس مخلوق فقد قال بدعة أو ضلالة!! وإضافة لما سبق، ففي قوله كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه يمتاز التعبير عن سائر التعابير القرآنية ويحدد ذات المسيح أنها روح منه تعالى، أي صادرة منه، لا على طريق الخلق، بل على طريق الصدور. كما يدل عليه ترادف الاسمين كلمته وروح منه. فهو روح منه تعالى يصدر منه صدور الكلمة من الذات الناطقة في حديثها النفسي، وإذ لا حدوث في الله، فكلمته في ذاته غير محدثة أو روح منه غير محدث.

❖ شهادة علماء الإسلام لصحة تثليث المسيحية

تعرّض علماء الإسلام وفلاسفته إلى عقيدة التثليث المسيحية، وأعلنوا أنها غير العقيدة التي حاربها الإسلام، وندّد بها القرآن. ونورد هنا ما ذكره صاحب

المشرع نقلاً عن نسخة قديمة من كتاب أصول الدين لأبي الخير بن الطيب الذي عاصر الإمام أبا حامد الغزالي. وهو:

قال بعض المسيحيين لأبي الخير بن الطيب: إن الإنجيل بقوله: امضوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس قد أوجب عليكم الاعتقاد بثلاثة آلهة. فأجابه: لا ريب في أن لباب الشريعة المسيحية هو الإنجيل ورسائل بولس الرسول وأخبار الحواريين. وهذه الكتب، وأقوال علماء النصارى المنبثة في آفاق الأرض تشهد بتوحيدهم، وبأن أسماء الآب والابن والروح القدس إنما هي خواص لذاته الواحدة. ولولا حب الإيجاز لأتيت على إثبات عقيدتهم مفصلاً، ولكنني مع ذلك أقتضب من أقوالهم الناطقة بصحة معتقدهم وقويم إيمانهم، ما لا يخلو من فائدة فأقول: يرى النصارى أن البارئ تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال، وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها القناع، وهي الآب والابن والروح القدس، ويشيرون بالجوهر ذاته الذي يسمونه البارئ ذا العقل المجرد إلى الآب. والجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن. والجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى الروح القدس. ويريدون بالجوهر هنا ما قام بنفسه مستغنياً عن الظرف.

وقد أشار الغزالي إلى عقيدتهم هذه في كتابه الرد الجميل فقال: يعتقد النصارى أن ذات البارئ تعالى واحدة في الجوهر ولها اعتبارات.

فإن اعتبر وجودها غير معلق على غيره، فذلك الوجود المطلق، هو ما يسمونه بأقنوم الآب.

وإن اعتبر معلقًا على وجود آخر، كالعلم المعلق على وجود العالم فذلك الوجود المقيد، هو ما يسمونه بأقنوم الابن أو الكلمة.

وإن اعتبر معلقًا على كون عاقليته معقولة منه، فذلك الوجود المقيد أيضاً هو ما يسمونه بأقنوم الروح القدس، لأن ذات البارئ معقولة منه. والحاصل من هذا التعبير الاصطلاحي: أن الذات الإلهية واحدة في الجوهر، وإن تكن منعوتة

بصفات الأقانيم.

ويقولون أيضًا: إن الذات من حيث هي مجردة لا موصوفة، عبارة غن معنى العقل، وهو المسمى عندهم بأقنوم الآب.

وإن اعتبرت من حيث هي عاقلة ذاتها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن والكلمة.

وإن اعتبرت من حيث أن ذاتها معقولة منها، فهذا الاعتبار عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمى بأقنوم الروح القدس.

فعلى هذا الاصطلاح، يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط، والآب مرادف له، والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى أنها عاقلة ذاتها، والابن أو الكلمة مرادف له، والمعقول عبارة عن الإله المعقولة ذاته منه، وروح القدس مرادف له أيضًا. ثم عقّب قائلاً: إذا صحت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ ولا في اصطلاح المتكلمين(٢٦١).

❖ الخلاصة

من تفسير الإمام الغزالي لعقيدة التثليث المسيحية، وتعليقه عليها يتضح أن فلاسفة الإسلام وعلماءه أدركوا أن عقيدة المسيحية الصحيحة في التثليث هي غير تلك العقيدة المبتدَعَة التي أشار إليها القرآن وندَّد بها. ومعنى هذا أن الإسلام لم يحارب التعليم الصحيح عن عقيدة التثليث المسيحية، بل حارب التعليم المبتدع فيها، وأن علماءه وفلاسفته قد شهدوا بأن تعليم المسيحية عن التثليث لا يناقض التوحيد.

---

٢٦١ عن كتاب المشرع للقس بولس سباط الطبعة الثانية صفحة ٢١ – ٢٥.

الفصل العاشر

هل يصادق الإسلام على صحة عقيدة الثالوث؟

تعلّم المسيحية بوحدانية الله في الذات، وتثليثه في الأقانيم: الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. ولقد ذكر القرآن في آياته ما يؤيد هذا التعليم ويصادق عليه. ونحن ننقل ما جاء في كتاب المشرع لمؤلفه القس بولس سباط، قال: لو تدبّر المسلمون كلام القرآن بالروية لعلموا أننا على محجة الإيمان، فإن كثيراً من نصوصه يثبت معتقدنا بالتثليث الذي جاء عندنا منظوماً في سلك البسملة، وعندهم منثوراً في القرآن بين كلماته وضمن سُوَره وآياته.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [٢٦٢]. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [٢٦٣]. فكأني بصورة التثليث قد انعكست على مرآة القرآن. فأبرزها بهاتين الآيتين وأمثالهما، والمسلمون يرتلونهما دون انتباه لما فيهما من المطابقة لاعتقاد النصارى، لفظاً ومعنى. على أن اسم الجلالة في الآية هو الآب، كما يُستنتج من تسمية المسيح بالابن، وإلا اقتضى قول الآية: ﴿بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ إن يستأبب هذا الابن المولود من أم، أباً كآباء الآدميين، أو أباً أزلياً فائق الطبيعة لاقتضاء البنوّة أبوّة في كل حال. وفي القرآن ما يُنزّه المسلمين عن نسبة الأبوّة والبنوّة البشريتين إلى الله والمسيح، فإذا امتنع في إيماننا واعتقادهم أن يكون الله تعالى والداً، والمسيح مولوداً كالآدميين، ثبت بامتناع أحد النقيضين تحقُّق الآخر، تعيَّن أن يكون للمسيح آب يفوق إدراك العقول، ويُنزّه عن الكيف والكم وعن لماذا ولِمَ. وإلا فمن تراه يكون

---

[٢٦٢] القرآن، سورة آل عمران ٣ الآية ٤٥.

[٢٦٣] القرآن، سورة البقرة ٢ الآية ٨٧.

أهلاً لأبوّة المسيح، كلمة الله المتأنس، غير الله عز وجلّ؟

ثم أن الكلمة وروح القدس المذكورين في القرآن هما الأقنومان المتممان لخواص الثالوث عندنا، لفظاً ومعنى، فإن الآية: وأيدناه بروح القدس تشمل المؤيِّد والمؤيَّد والمؤيَّد به، وكل منها أقنوم ممتاز بخاصته الذاتية. ويبدو الفرق بينها في أسرع من لمح البصر. فإن المتكلم هو غير الكلمة، كما أن المؤيِّد، هو الله، غير المؤيَّد وهو الكلمة أو الابن، والمؤيَّد غير المؤيَّد به، وهو الروح القدس. وتلك أقانيم الثالوث عندنا، لا خلاف فيها بيننا وبين المسلمين. فنحن نقول في بشارة الملاك لمريم: ملاك الرب نزل من السماء، وبشر مريم العذراء، فحبلت بالروح القدس. ونقول أيضاً: «**وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا**»[٢٦٤]. وفي الإنجيل الطاهر: «**فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ**»[٢٦٥]. إلى غير ذلك مما تتجلى فيه عقيدتنا الراهنة، البعيدة عن معنى الأبوّة المادية التي يتّهمنا بها المسلمون، وقد أبنّا في ما تقدم وجه ما أجاز لنا تسمية الله بالآب، وأوضحنا أن قولنا الكلمة هو مرادف لقولنا ابن الله، وأنّ الإنجيل المقدس قد دعاه الكلمة أيضاً، ودلّ في كلمة التبشير على ولادته من روح القدس، لا من المادة كما شهد به القرآن. فتعيّن إذاً ألا يكون بيننا وبينهم إلا خلاف لفظي في تسمية الله الآب، وهي أبوّة اقتضتها بنوّة المسيح في قول القرآن: بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، ولا يصح أن يكون هذا الخلاف سبباً في الجدل والمناوأة، مع صحة هذه الأبوّة التي اعتقدها ألوف من أهل العلم، ونمت حقيقتها في أقوال القرآن، على ما رأيت. فالله المسؤول أن يجمع قلوبنا على حبه وعبادته.

ونضيف أن آيتي البقرة ٨٧ وآل عمران ٤٥ تضمنتا ذكر الثلاثة الأقانيم، كما

---

٢٦٤ الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاحُ ١ الآية ١٤.

٢٦٥ الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاحُ ١ الآية ١.

تعلم به عقيدة التثليث المسيحية تماماً. ففيه ذكر الله، وهو الاسم الشائع الاستعمال للكتابة عن الأقنوم الأول والآب وفيها ذكر الكلمة الأقنوم الثاني، وفيها ذكر الروح القدس الأقنوم الثالث. ثم أن آل عمران ٤٥ تتكلم بوضوح عن الأقنوم الثاني كلمة الله، فهي تصرح أن هذه الكلمة ليست لفظًا يقرع الأسماع ثم يذهب مع الريح، وإنما تعلم أن الكلمة:

(أ) من الله: ﴿إنّ الله يبشرك بكلمة منه﴾.

(ب) ويراد بها شيء له قيوميته في ذاته: ﴿اسمه المسيح عيسى﴾.

(ج) وهي في الوقت ذاته ابن مريم.

ولقد سلك المفسرون في تفسير هذه الآية وأشباهها سلوكًا كله تكلف وإعنات، فهم يقولون إن الكلمة لم يكن من الله، بل كان بقوة كلمة الله كن. كما أنهم قد غُلبوا على أمرهم في إدراك معنى الروح واضطربوا في تفسيره اضطراباً يدعو إلى العجب. وسنرى هنا صواب قولهم أو خطأه.

قلنا إن هاتين الآيتين تضمنتا ذكر الثالوث الأقدس كما علّمت به المسيحية. ونرى لزاماً علينا أن نزيد هذا القول إيضاحًا وتفصيلاً.

(أ) أما الآب فقد ذكرته الآية بطريقة يتحتم معها تسمية الله بهذا الاسم، لأنها في كلامها قد دعت المسيح ابن مريم، فوجب أن يكون لهذا الابن أب كسائر المواليد من أنثى، لأن المعلول لا بد له من علة، فالبنوّة تقتضي أبوّة. وأب المسيح إما أن يكون أباً بشريًا كسائر الآباء، وحينئذ يصبح المسيح شخصًا عاديًا، والمسيحية والإسلامية تنزهان المسيح عن ذلك. وإما أن يكون هذا الآب أباً غير بشري، حتى يستقيم القول إنه كلمة من الله. وقد انتفى أن يكون للمسيح أب بشري، فوجب أن يكون له آب فائق الطبيعة هو الله سبحانه وتعالى. وسيرى القارئ عند كلامنا عن الكلمة تفصيلاً لهذا كله.

(ب) **أما الكلمة:** فإن المفسرين يفسرون قول القرآن: بكلمة منه بزعمهم أن الكلمة لم يكن من الله، بل كان بقوة كلمة الله، ولو صحّ هذا التفسير لأضحى

للمسيح موجودًا من العدم لا من الله، وحينئذ يكون القرآن قد ذكر لفظة منه عبثًا. كما يكون قد أخطأ حين أضاف الكلمة إلى الله ولقّب المسيح بأنه **روح منه** في قوله ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾، ونحن نجل القرآن عن هذا، ونعتقد أنه لم يخطئ حين ذكر صدور الكلمة من الله، ولم يتعدّ الصواب حين وصف المسيح **بأنه روح منه**، ولم يذكر كلمة منه عبثًا. بل نعتقد أنه إنما ذكرها ليدل على أن مصدر الكلمة هو الله ذاته. وما كان من الله بغير طريق الخلق والإبداع، كان هو الله ذاته لا محالة، لأن كل شيء في الله واحد.

ولكن كيف حدث ذلك الصدور بحيث أصبحت كلمة الله ذاتاً اسمها المسيح عيسى ابن مريم؟

إنّ نظرية الصدور أو التوالد تختلف بين الكائنات باختلاف طبائعها. وكلما ازدادت الطبيعة رقيًا وارتفاعًا ازداد ما يصدر عنها أو يتولد منها اتحادًا بها. فنرى في الجمادات كالصخور والمعادن وهي أسفل الكائنات درجة أن الصدور والتولد لا يحدث فيها إلا بفعل الواحد في الآخر. فالنار مثلاً لا تتولد إلا من نار، وذلك بفعل النار في الجسم القريب منها، فتشركه في صفاتها وتحوله إلى نوعها، وقس على ذلك.

فإذا ارتقينا بالنبات درجة، ورأيناه في مرتبة الحياة الحساسة حياة الحيوان رأينا أن تولّد النفس الحساسة، الخاص بها، يبدأ من الخارج، وينتهي إلى الباطن. ولذلك أصبحت هذه الحياة الحساسة أرفع قدراً من حياة النبات لزيادة اتحادها في ذات كونها، ولكنها مع كل هذا ليست حياة كاملة الكمال الوافي. فإذا ارتقينا بهذه النفس الحساسة، ورأيناها وقد حلّ فيها النطق، فخرجت به من أفق الحيوان إلى أفق الإنسان، رأيناها تبدأ الحياة العاقلة، التي هي أكمل أنواع الحياة، وأرقاها شأنًا، وأرفعها مقامًا.

بيد أن هذه الحياة الحساسة الناطقة العاقلة لا تزال ناقصة لأن العقل البشري

وإنْ أمكنه أن يدرك ذاته فإنه إنما يستمد بدء علمه من الخارج، ولذا كانت الحياة العقلية في الملائكة أكمل وأرفع منها في الإنسان. ولكنه مع هذا كله لم يصل إلى درجة الكمال المطلق، لأن المعنى الذي يدركه الملاك وإن كان ذاتيًا فليس هو جوهر الملاك، لأن العقل والوجود ليسا واحدًا فيه.

فكمال الحياة إذاً الذي ليس وراءه كمال هو في ذلك الكائن الذي وجوده ذاته وذاته وجوده، وهو الله سبحانه وتعالى، الحي القيوم، لأن العقل والوجود واحد فيه. ولذلك كان المعنى المعقول فيه والذات الإلهية واحداً. ولكن لما كان وجود الله تعالى هو عقله، وكان عقله هو وجوده، كان المعنى المعقول فيه هو عقله أيضاً، إذ كل شيء في الله واحد، ومن هنا كان العقل فيه هو الشيء المعقول فيه، وكان بعقله لذاته يعقل كل شيء، لأنه علة كل شيء.

والنتيجة إذاً أن العقل والعاقل والمعقول واحد في الله سبحانه وتعالى.

إذا أمعنت الفكر في كل ما سبق استطعت أن تتصور صدور الكلمة من الله ذات الصدور الذي نؤمن به، وأشار إليه القرآن بقوله للعذراء مريم: «**إنّ الله يبشرك بكلمة منه**»، وبقوله لزكريا عند تبشيره بيحيى: «**إنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وهو المسيح**».

ولا يمكن أن يكون ذلك الكلمة قد صدر من الله على شكل الصدور الحادث بين الجماد، لأن التولد فيه إنما يكون برسم صورته في مادة خارجية، ولا يمكن أن يكون قد صدر على شكل الصدور الحادث بين النبات والحيوان لأن التولد فيهما لا يحدث إلا بانفصال شيء منهما يشاركهما في صفاتهما، ولا يمكن أن ينفصل عن الله شيء منه، كما لا يمكن أن يقبل هو جل شأنه شيئاً من الخارج.

فكيف يكون إذاً قد صدر ذلك الكلمة من الله؟ لا سبيل لذلك إلا سبيل التولد العقلي. فالكلمة إذاً هي في الله العاقل لذاته، أي أن الله تعالى معقول، وموضوع عقله هو ذاته نفسها، لأن كل شيء في الله واحد. ولما كان عقله لا يخرج من القوة إلى الفعل، فلا يطرأ عليه الحدث، ولا يقع تحت عوامل العرض كان كلمته

الذي منه أزلياً أبدياً، موجوداً فيه، ومساوياً له المساواة التامة.

ولما كان كلمة الله منه فهو إذاً ابنه، على سبيل التولد العقلي. وهو إذاً له طبيعة الله وصفاته، لأن الله لا يعقل ذاته بأقل مما هو عليه، إذ عقله وجوده. والكلمة الإلهية، من حيث أنها إله معقول هي إله حقيقي، لها الصفات الإلهية من ذات طبيعتها، إذ لا تمايز بين وجود الله، وبين علمه وعقله، ولذلك كانت كلمة الله هي ذاته، لأنها صادرة من الله بطريق التولد والصدور العقلي، لا بطريق الخلق والإبداع، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً. وهذا يفسر لنا قول القرآن: **﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾**، ويوافق قول الإنجيل: **﴿فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ، كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ﴾** [٢٦٦].

فالكلمة الإلهية إذاً هي نفس الذات الإلهية، وهي واحدة في النوع وفي العدد لأن كل شيء في الله واحد. ثم أنّ الطبيعة في أيّ موجود لا تنقسم إلى موجودات كثيرة بمقتضى العدد، بل بحكم المادة التي تتشخص بها. والطبيعة الإلهية منزهة عن كل مادة: فمن المحال أن تكون واحدة في النوع وممتازة في العدد. فكلمة الله التي بشر بها الملاك العذراء مريم، تشترك مع الله في طبيعة واحدة عدداً، فليس الله وكلمته إلهين اثنين، بل إله واحد.

وقصارى القول، إنّ كلمة الله قد صدر من الله بمقتضى عقله لذاته. ولما كان العقل والعاقل والمعنى المعقول واحداً في الله تعالى، كان الكلمة هو الله تعالى.

(ج) وأما الروح القدس: فالقرآن لا يوضح لنا ماهيته، ولا يفسر لنا معناه ولا يبيّن من يكون هو، ولا ماذا يُراد به، مع أن القرآن ذكر كلمة روح في نحو عشرين آية. وكلما وصل المفسرون إليها ارتبكوا وتحيّروا وغُلبوا على أمرهم.

ولا نكاد نجد مفسراً واحداً أوفى شرح هذه اللفظة، وأبان مدلولها، بل نراهم

---

[٢٦٦] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا ألأصحاح ١ الآيات ١ و٣.

يفسرونها بمعانٍ لا صلة بينها البتة. ويخيّرون القارئ في أخذ ما يحب منها. فنرى مثلاً الإمام البيضاوي عند كلامه عن آية البقرة ٨٧: ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ يخيّر القارئ بين أربعة معانٍ هي:

(١) للروح القدس هو جبريل.

(٢) هو روح عيسى.

(٣) هو الإنجيل.

(٤) هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى به يحيي الموتى.

ويزيد الطبري هذا التفسير تعقيداً على تعقيده. فتكلم في معنى الروح جسدًا، ونسب تأويلات متباينة إلى الصحابة وأولادهم لا تدل إلا على أنهم كانوا هم أيضاً في حيرة وارتباك من جهة الروح، ولغموض القرآن في أمر الروح، ولخلط الأئمة وتناقض أقوالهم في تفسيره، نرى المسلمين عامة يقفون عند الروح موقف من اعتقد أنه سر عظيم لا يمكن إدراك كنهه ولا معرفة ماهيته. بل لا نغالي إن قلنا إن هذا السر العظيم قد غمض على نفس نبي الإسلام، فقد وفد عليه اليهود يسألونه عن الروح، طالبين إليه أن يخبرهم: ماذا يكون، وكيف يتعذب الروح الذي في الجسد؟ وكيف يتنعم؟ فأجابهم: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي»[٢٦٧] مما يدل دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على أنه قد اعتقد أن الروح صفة أو طبيعة تفوق إدراك العقل البشري، وإنّ عِلم أمره مقصور على الله تعالى. وقد رُوي عن ابن بريدة أنه قال: لقد مضى (مات) النبي وما يعلم الروح. هذا، وأقوال المفسرين تدل على أنهم أيضاً قد تاهوا في هذا المجال، وشطوا في بحوثهم: هل الروح عرض أو جوهر؟ وهل هو ذات المسيح، أم أن المسيح مولود بالروح، أم أنه مؤيد بالروح والروح مؤيد له فقط؟

وإن كان القرآن لم يشف الغلة في إيضاح ماهية هذا الروح، فإن مما يستحق

---

[٢٦٧] القرآن، سورة الإسراء ١٧ الآية ٨٥.

الاعتبار أنه قرن ذكر الروح بالمسيح. وهذه الصلة القائمة بين المسيح والـروح في القرآن، بجانب هذا الغموض أمر يدعو إلى العجب، ويدل على منزلة المسيح التي لم يُنزلها القرآن أحداً غيره من الأنبياء والرسل.

ولو نظرنا إلى ورود كلمة الروح في القرآن باعتبار زمن الآيـات، لرأينـا أربعة أقسام:

القسم الأول: تكلم عن الروح كأنه جبريل أو أحد الملائكة.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (٢٦٨).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً﴾ (٢٦٩).

﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٢٧٠).

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (٢٧١).

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٢٧٢).

وقد ذهب **البيضاوي والجلالان والكشاف والطبري والرازي والنيـسابوري** بما يشبه الإجماع الكلي إلى أن الروح في هذه الآيات هو جبريل. ولا شك أنهـم ذهبوا هذا المذهب تخلّصاً من عناء البحث.

القسم الثاني: ينسب الخلق إلى الروح.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٧٣).

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (٢٧٤).

---

[٢٦٨] القرآن، سورة القدر ٩٧ الآية ٤.

[٢٦٩] القرآن، سورة النبأ ٧٨ الآية ٣٨.

[٢٧٠] القرآن، سورة المعارج ٧٠ الآية ٤.

[٢٧١] القرآن، سورة الشعراء ٢٦ الآيات ١٩٤، ١٩٣.

[٢٧٢] القرآن، سورة النحل ١٦ الآية ١٠٢.

[٢٧٣] القرآن، سورة الحجر ١٥ الآية ٢٩.

[٢٧٤] القرآن، سورة السجدة ٣٢ الآية ٩.

وقال الرازي في تفسيره ما معناه: نفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي. وقال الجلالان: أجريت فيه من روحي فصار حيًا. وقال الكشاف: نفخت فيه من روحي وأحييته، وليس ثمة نافخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لتحصيل ماء الحياة فيه. وزاد البيضاوي فقال: أي جعله حيًا حساسًا بعد أن كان جمادًا. وأضافه إلى نفسه تشريفًا.

وهذا يدل على أن مفسري القرآن قد ازدادوا حيرة، لأن الروح في هذه الآيات ليس جبريل كما فسروا في آيات القسم الأول. لأن جبريل ليس نفخة تجري في تجويف الإنسان، كما يجري الدم، فيُحيا به. ولو كان الأمر كما ذكروا لما استطعنا أن نجادل من يقول إن الله قد نفخ في القرد من روحه فصار حياً، لأنه بحسب قولهم لا حياة للجسم المادي دون أن ينفخ الله فيه من روحه، كما قال الرازي إن كل أحد روحه روح الله، خطأ فاحش، لأنه يقتضي أن يسمي كل واحد نفسه روح الله.

القسم الثالث: ينسب الوحي إلى الروح.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [275].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [276].

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [277].

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ [278].

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [279]. قد فسر المفسرون الذين ذكرناهم سابقاً الروح في هذه الآيات بأنه الوحي أو القرآن أو الكتاب أو النبوّة أو الإيمان أو النصر على العدو أو النور، ولكنهم قالوا جميعاً

---

[275] القرآن، سورة النحل١٦ الآية ٢.

[276] القرآن، سورة الإسراء ١٧ الآية ٨٥.

[277] القرآن، سورة غافر ٤٠ الآية ١٥.

[278] القرآن، سورة الشورى ٤٢ الآية ٥٢

[279] القرآن، سورة المجادلة ٥٨ الآية ٢٢

النبوّة أو الإيمان أو النصر على العدو أو النور، ولكنهم قالوا جميعاً إنه الوحي.

القسم الرابع: ينسب ولادة المسيح وأعماله إلى الروح.

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٢٨٠).

﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٢٨١).

﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (٢٨٢).

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ (٢٨٣).

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (٢٨٤).

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (٢٨٥).

وقد فسر المفسرون هذه الآيات قائلين إنّ الروح هو الروح المقدسة جبريل لطهارته، أو روح عيسى ووصفها به لطهارته من الشيطان، أو لكرامته على الله ولذلك أضافها الله إلى نفسه، أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث، أو الإنجيل، أو اسم الله الأعظم الذي كان عيسى به يحيي الموتى.

وتفسير هذا القسم قد اصطبغ بصبغة الفكر المبلبل، إذ جعل للروح تأثير قوة روحية خفية ليست هي الله ذاته، على أن ما يستنتج من آياته أن الروح هو من الله رأسًا، فلا يدرك كنهه سواه، إذ هو مصدره، وأنه كان الواسطة الوحيدة في حبل العذراء بالمسيح، وأنه هو الذي كان يوحي كلام الله إلى أنبيائه وأنه كان مؤيّدًا للمسيح.

وما دام أن الروح هو من الله، أو هو روح الله، فهو ككلمته إله أزلي له كل

---

٢٨٠ القرآن، سورة البقرة ٢ الآيات ٨٧، ٢٥٣.

٢٨١ القرآن، سورة النساء٤ الآية ١٧١.

٢٨٢ القرآن، سورة المائدة٥ الآية ١١٠.

٢٨٣ القرآن، سورة مريم١٩ الآية ١٧.

٢٨٤ القرآن، سورة الأنبياء٢١ الآية ٩١.

٢٨٥ القرآن، سورة التحريم٦٦ الآية ١٢.

الصفات الإلهية، لأن كل شيء في الله واحد كما ذكرنا، ولأن القرآن لم يوضح لنا ما هو. وأما القول بأن الله قد أضاف الروح إلى نفسه تشريفًا فهو تكلّف لا سبيل إلى الأخذ به.

ومن العجيب حقًا أن مفسري القرآن لم يستطيعوا معرفة حقيقة أمر الروح وإدراك سره، ونحن نعتقد أن الذي منعهم من بحث الأمر بحثاً دقيقاً هو سر الأقانيم الإلهية في ذاته تعالى، ولهذا نراهم يحاولون جهدهم التخلص من عقدة التثليث فيحولون العبارات من الحقيقة إلى المجاز.

ألم تر كيف يقولون إن الروح هو جبريل، أو ملاك عظيم، أو جند من الملائكة، أو نسمة، أو ريح، أو نور، أو الوحي، أو الإيمان، أو النبوة، أو القرآن، أو الإنجيل، أو كل الناس، أو هو كائن أعظم من الملائكة، أو النصر على العدو أو...أو الخ؟

وهذه المعاني الكثيرة، التي تبعث على الدهشة تدل على أن بين المسيح والذات الإلهية صلة فريدة تقوم بوساطة روح يشترك في هذه العلاقة الممتازة، فهي ليست كالصلة العادية التي بين الخالق والمخلوق، وليست بالصلة التي تدعو إليها دواع يخترعها المفسرون اختراعًا.

ونحن نشاطر المسلمين حيرتهم إزاء غموض القرآن في أمر الروح، والذي لم يستطع الصحابة أو المفسرون جلاءه أو الوصول إلى حقيقته، ولهذا نرى واجبًا علينا أن نلجأ إلى الكتاب المقدس نستوضحه ما غمض علينا فهمه، عملاً بقول القرآن: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ (أهل الكتاب) إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [٢٨٦].

يرى المطلع على كتاب الله المقدس أن الروح القدس هو الرب جل جلاله، «وَدَعَا اسْمَ الْمَوْضِعِ مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ مِنْ أَجْلِ مُخَاصَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَجْلِ

[٢٨٦] القرآن، سورة الأنبياء ٢١ الآية ٧.

تَجْرِبَتِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: أَفِي وَسَطِنَا الرَّبُّ أَمْ لا؟»[٢٨٧].

«لِذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ. اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٢٨٨].

«رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي. قَالَ إِلهُ إِسْرَائِيلَ. إِلَيَّ تَكَلَّمَ صَخْرَةُ إِسْرَائِيلَ. إِذَا تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ بَارٌّ يَتَسَلَّطُ بِخَوْفِ اللّهِ»[٢٨٩].

«لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ»[٢٩٠].

ويرى أنه ذات الله في أسفار صموئيل والمزامير وإشعياء، وأنه قد وُصف بصفات الله عز وجل، فهو الديّان المقنع المعلّم المُعين، ذو القوة والبأس المتين.

فالروح هو الله بلا شك، لأن هذه الصفات لا يمكن أن يتصف بها غيره تعالى، وهذه الحقوق مختصة به وحده، فهو الذي يقف الكل أمام عرشه صاغرين، وما الملائكة إلا مبلغون لوحيه، وليس الأنبياء والرسل إلا مبشرين ومنذرين. أما الروح القدس فهو الذي يحرك القلوب وينمي مفعول كلام الله فيها، وبيده الحياة والحكمة يؤتيها من يشاء[٢٩١]. وهو الذي يسكب المحبة في قلوب المؤمنين، وهو الذي يقدس ويغسل ويبرر، مما لا يستطيعه إلا الله. فبأي وجه لا نعتقد أن الروح هو الله. وهذا أيوب يقول: «رُوحُ اللّهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ

---

[٢٨٧] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر خروج الأَصْحَاحُ ١٧ الآية ٧.

[٢٨٨] الإنجيل، رسالة الرسول بولس للعبرانيين الأَصْحَاحُ ٣ الآيات ٧-٩.

[٢٨٩] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر صموئيل الثاني الأَصْحَاحُ ٢٣ الآيات ٢ و٣.

[٢٩٠] الإنجيل، رسالة الرسول بطرس الثانية الأَصْحَاحُ ١ الآية ٢١.

[٢٩١] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأَصْحَاحُ ٧ الآية ٣٩، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأَصْحَاحُ ٩ الآية ١، رسالته الأول لأهل تسالونيكي الأَصْحَاحُ ١ الآية ٥، رسالة الرسول بطرس الأول الأَصْحَاحُ ١ الآية ١٢.

أخيَتِتي»[٢٩٢].

«إننا نتَكلَم بحِكمَةِ اللَه في سرٍّ: الحِكمَةِ المَكتُومَةِ، التي سَبَقَ اللَهُ فعَيَّنَها قَبلَ الدُهُورِ لمَجْدِنَا، التي لَمْ يَعْلَمْهَا أحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هذَا الدَهْرِ – لأنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ المَجْدِ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكتُوبٌ: مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، ولَمْ يَخطُرْ عَلَى بَالِ إنْسَانٍ: مَا أعَدَّهُ اللَهُ للَذِينَ يُحِبُّونَهُ. فَأعلَنَهُ اللَهُ لَنَا نَحْنُ برُوحِه. لأنَّ الرُوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أعمَاقَ اللَه. لأنْ مَنْ مِنَ النَاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإنْسَانِ إلا رُوحُ الإنْسَانِ الذي فيه؟ هكَذَا أيْضاً أُمُورُ اللَه لا يَعْرِفُهَا أحَدٌ إلا رُوحُ اللَه. ونَحْنُ لَمْ نَأخُذْ رُوحَ العَالَمِ، بَلِ الرُوحَ الذي مِنَ اللَه، لنَعْرِفَ الأشْيَاءَ المَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللَه، التي نَتَكَلَم بهَا أيْضاً، لا بأقْوَالٍ تُعَلِّمهَا حِكمَةٌ إنْسَانيَةٌ، بَلْ بمَا يُعَلِّمهُ الرُوحُ القُدُسُ، قَارِنِينَ الرُوحيَّاتِ بالرُوحيَّاتِ»[٢٩٣].

❖ الخلاصة

نستطيع بعد كل ما سبق بيانه، القول إن القرآن تكلم عن سر الثالوث الأقدس كما تُعلِّم به المسيحية الصحيحة. فقد ذكر القرآن: الله، وكلمته، وروحه، وهذه هي الأقانيم الإلهية، الواحدة الذات والجوهر. ولقد كان كلامه بهذه الطريقة مصادقةً منه على صحة عقيدة التثليث المسيحية التي لا تنافي العقل، ولا تقول بتعدد وإشراك، وإنما هي العقيدة المثلى للإيمان الحق بالله تعالى، إذ توضح لنا أسرار محبته وعدله ورحمته.

وعليه فقد رأينا في الأبحاث السابقة كيف نظر الإسلام إلى العقيدة المسيحية في الله تعالى، وعلقنا على أقواله بما يوصلنا إلى النتائج الآتية:

١ – التثليث الذي حاربه الإسلام، هو غير التثليث المسيحي، وهو تثليث مبتدَع، يقول بالولادة التناسلية، والتعدد في الذات الإلهية، مما تبرأ منه المسيحية

---

٢٩٢ التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر أيوب الأصحاح ٣٣ الآية ٤.

٢٩٣ الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأولى لأهل كورنثوس الأصحاح ٢ الآيات ٧-١٣.

وتكفّر كل القائلين به.

٢ – أثبت علماء الإسلام ومحققوه للمسيحية فكرتها الصحيحة عن الثالوث، فتكلموا عنه معلنين أن هذه العقيدة المسيحية هي غير عقيدة التثليث المغلوطة التي كانت قد ظهرت عند ظهور الإسلام فندد بها القرآن، واجتهد في إظهار ما بها من الضلال. ولقد سبقته الكنيسة في ذلك، فحرمت شيعة هذا المذهب المبتدع، وحظرت أتباعه، ولا يزال موقفها معهم إلى اليوم موقف المنكر لما يعتقدون.

٣ – نظر الإسلام إلى المسيحيين وتكلم عنهم كقوم موحّدين، فوعدهم بالأجر والثواب، ووصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم يسارعون في الخيرات، ويؤمنون بالله واليوم الآخِر، وحقّن دماءهم، فكان بذلك مميِّزاً لهم عن المشركين الذين أحلّ دماءهم، ووعدهم جهنم وساءت مصيراً.

٤ – تكلم الإسلام عن سر الثالوث الأقدس كما تُعلّم به المسيحية، فتكلم عن الله بما يلزم معه أن يُنعت بالآب. وعن المسيح كلمة الله الأزلي، وصرح أن هذا الكلمة قد صدر من الله بما يحتم أن يكون المسيح والله ذاتاً واحدة، لأن كل شيء في الله واحد. وعن الروح القدس كأنه همزة الوصل بين الله والمسيح وبين الخالق والمخلوق. وحسبنا هذه من حقائق دامغة.

أخيراً:

فكر الإسلام والثالوث

أولاً: بنوة المسيح في القرآن:

يرى المتأمّل في شخص المسيح، من خلال القرآن، أنّ موضوع بنوّته يثير جدليّة القرآن وفيه خمس نظريّات لتكفير القول «بالبنوة لله»، فهل المسيحية منها براء؟

١ - النظريـــة الأولى:

الأخذ من خلقــه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَداً لَقَــدْ جِئْــتُمْ شَــيْئاً إِدّاً تَكَــادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً إِنْ كُلُّ مَنْ فِي الــسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِــي الرَّحْمَانِ عَبْداً﴾ [٢٩٤].﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ [٢٩٥].﴿ذلك عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحــقِ الذي فيه يمترون. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَــانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٢٩٦].

قال البيضاوي في تفسير البقرة٢: ١١٧ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً - نزلت لما قالت اليهود: عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، ومشركو الـــعرب: الملائكة بنات الله..سبحانه تنــزيه له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء. بل له ما في السماوات والأرض﴾ رد لما قالوه واستدلال على فساده.

جاء في كتاب التفسير الكبير للفخر الرازيّ: «اعلم أنّه تعالى لمّــا ردّ علــى عبدة الأوثان عاد إلى الردّ على من أثبت له ولد. (وقالت اليهود عزير ابن الله

---

[٢٩٤] القرآن، سورة مريم١٩ الآيات ٨٨-٩٢.

[٢٩٥] القرآن، سورة البقرة٢ الآية ١١٧.

[٢٩٦] القرآن، سورة مريم١٩ الآيات ٣٤و٣٥.

وقالت النصارى المسيح ابن الله) وقالت العرب الملائكة بنات الله. والكلّ داخلون في هذه الآية».

والمعنى أنه تعالى ﴿خالق ما في السموات والأرض﴾. ثم يُعَقب بقول القرآن ﴿كل له قانتون، أي منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه. وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكوّنه الواجب لذاته، فلا يكون له ولد، لأن من حق الوالد أن يجانس والده أي كل ما فيه﴾. ونحن إذ ننقل هذا التعليق من الإمام البيضاوي فذلك لبيان معنى استحالة الأخذ ولداً لله بهذه الطريقة. والكلمة جئتم شيئاً إداً تعني المُنكَر العظيم. لذلك عنى بانفطار السماء وانشقاق الأرض وخرور الجبال غضبه على مَنْ تفوّه بالقول: « اتّخذ الرحمَن ولداً».

٢-النظرية الثانية:

ضم جزء لله من خلقه. القول بابن لله تعالى معناه ضم جزء لله من خلقه ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ (٢٩٧).

فسّره البيضاوي: ﴿وجعلوا من عباده ولداً، ولعله سمّاه جزءاً كما يُسمّي بعضاً لأنه بعضه من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته﴾. فالقول بالابن لله هو ضم جزء له من خلقه، وذلك ممتنع بين الخالق والمخلوق لأنه لا نسبة بينهما، ولا صلة كيانيّة.

ومن هنا انطلق السؤال: أيّة نسبة بين الخالق والمخلوق حتّى يُضمّ جزء من المخلوق إلى خالقه؟ يستحيل ذلك فطرةً وعقلاً. وأيضاً انطلقوا من القول إن كلّ ما في السموات والأرض إلاّ آتي الرحمن عبداً، ليقولوا: لا يمكن للعبد أن يكون ربّاً. ومن القول بديع السموات والأرض، قالوا: لا يمكن أن يكون المخلوق

---

٢٩٧ القرآن، سورة الزخرف٤٣ الآيات ١٥و١٦.

خالقاً.

ونحن كمسيحيّين نقرّ أنّه لا يجوز أن يُضمّ جزء إلى الله من خلائقه، ولكن في عقيدتنا لا ينطبق هذا على العلاقة القائمة بين الآب والابن. لأنّ الابن ذو جوهر واحد مع الآب، والقرآن يقول إنّ المسيح هو كلمة الله وروح منه. فضمّ جزء إلى الله من مخلوقاته ليس وارداً في شأن المسيح.

٣ – النظرية الثالثة:

«البنوة الجسدية والولادة التناسلية». وهذه هي النظرية السائدة لامتناع الابن أو الولد على الله». وجعلوا لله شركاء «الجن»، وقالوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون. ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٢٩٨].

فسّر البيضاوي ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي من أين؟ أو كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد؟ وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوده.

الأول: من مبدعاته السماوات والأرض، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها، فهو أولى بأن يتعالى عنها.

الثاني: إن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين، والله تعالى منزه عن المجانسة.

الثالث: «إن الولد كفؤ الوالد، ولا كفء له بوجهين: الأول: إن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه، والثاني: أنه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع»، فلا يفهم مفسرو القرآن البنوة إلا من ذكر وأنثى، فلا ولد إلا من «صاحبة» وتعالى الله عن الصاحبة والولد منها علواً كبيراً، فحتى الجن نفسها

---

[٢٩٨] القرآن، سورة الأنعام٦ الآية ١٠١.

تعلن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ [٢٩٩].

فسّره البيضاوي «تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا» أي عظمته من جد فلان في عيني، أي عظم ملكه وسلطانه أو غناه، والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه. وقوله: «مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا» بيان ذلك. فاستحالة الأبوة والبنوة في الله قائمة على أنه تعالى ربنا عن الزوجة والصاحبة، فلا ولد أو ابن في نظر القرآن بدون صاحبة!! فلا يفهم القرآن الولادة والبنوة في الله (أياً كانت) إلا بزوجة وزواج، فهي بنوّة جسدية تناسلية. تلك هي جدليّة القرآن في نسبة البنوة إلى الله تعالى.

ولا وجود لبنوّة من هذا النوع أو ما يشبهه في الإنجيل ولا في المسيحية. إذ تقول المسيحية ببنوّة في ذات الله تجعلها فوق الحسّ وفوق الروح وفوق المخلوق كله. إنها من ذات الله في ذات الله لصلة ذاتية في الله، كتسلسل النطق من الناطق. الكلمة الإلهية «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. «فهي بنوة روحية (أصيلة،غير مكتسبة) أزلية ذاتية في ذات الله»، عبّر عنها القرآن بالقول: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [٣٠٠]. وقد علّقَ البيضاويّ على الآية بقوله إنّ المعقول من الولد هو ما يتولّد من ذكر وأنثى متجانسَيْن والله تعالى منزّه عن التجانس.

هذه هي نظريّة الإسلام في استحالة الولد إلى الله، فإنّه لا صاحبة له. ولا يمكن أن تكون له صاحبة. وهذا هو سرّ استنكار أبُوة الله للمسيح. لأنّه لا بُنوّة في الفكر القرآنيّ إلاّ البنوّة التناسليّة الجسديّة. وممّا يؤيّد ذلك ما جاء في كتاب جامع البيان للطبريّ، عن ابن وهب عن أبي زيد أنّه قال: الولد إنّما يكون من

---

[٢٩٩] القرآن، سورة الجن ٧٢ الآية ٣.

[٣٠٠] القرآن، سورة النساء ٤ الآية ١٧١.

الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد. وذلك أنّه هو الذي خلق كلّ شيء. فإذا كان لا شيء إلاّ الله خلقه، فأنّى يكون له ولد؟

ويرجّح ثقات الباحثين أنّ الآية نزلت في حقّ بعض أهل البدع من أصل وثنيّ، الذين التصقوا بالكنيسة، وكانت لهم محاولة ليُدْخلوا فيها بدعة مفادها أنّ مريم العذراء إلهة. ولعلّهم استعاضوا بها عن الزهرة، التي كانوا يعبدونها قبلاً. وقد أشار إليهم العلاّمة الكبير أحمد المقريزي في كتابه[301]. وذكرهم ابن حزم في كتابه[302]. وبما أنّ بدعتهم تفترض اتّخاذ الله صاحبة وإنجاب ولد منها، فبديهيّ أن يشجبها القرآن. ولنا عودة مع موضوع الثالوث.

لكنّ هذه الفكرة بعيدة كلّ البعد عن المسيحيّة، وليس ثمّة مسيحيّ واحد يؤمن بها. لأنّها إهانة موجّهة إلى جلال الله القدّوس، المنزّه عن كلّ خصائص الجسد.

والحقيقة أنّ الباحث في عقيدة المسيحيّين المبنيّة على الإنجيل، يرى أنّهم لا يقولون إطلاقاً بأنّ المسيح ابن الله على طريقة الاستيلاد من صاحبة، بل يؤمنون بأنّه ابن الله على طريقة الصدور منه في الوجود الإلهيّ، بصفة كونه الكلمة الذي كان في البدء عند الله، وقد حُبِل به من الروح القُدُس.

وقد أشار الرسول العظيم بولس إلى هذه الحقيقة بقوله: «**بُولُسُ،عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الْمَدْعُوُّ رَسُولاً، الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللّهِ، الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ،عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا**»[303].

---

[301] القول الإبريزي، تأليف: المقريزي (٨٤٥هـ-١٤٤٢م) (تقي الدين) (أبو العباس) أحمد بن علي بن عبد القادر المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الأصل المصري الحنفي، مطبعة التوفيق بالقاهرة، التاريخ ١٨٩٨م، صفحة ٢٦.

[302] الملل والأهواء والنحل صفحة ٤٨.

[303] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ١ الأيات ١-٤.

٤-النظرية الرابعة:

كان يأكل الطعام كقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [٢٠٤].

ففكر الإسلام هنا يقول إنّ استحالة الألوهية على المسيح ظاهرة من بشريّته. فمَن يأكل الطعام كيف يكون إلهاً؟ ويقول الرازيّ في تفسير الآية:

أ- إنّ كلّ مَن كان له أمّ فقد حدث، بعد أن لم يكن. وكلّ مَن كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً.

ب - إنّهما كانا محتاجَيْن إلى الطعام أشدّ الحاجة، والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء. فكيف إذاً يكون المسيح إلهاً.

ج - قوله «كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ» كناية عن الحدث. لأنّ مَن أكل الطعام لا بدّ وأن يحدث (وهذا عند الرازيّ ضعيف).

٥- النظرية الخامسة:

عجز المخلوق عن النفع والضرّ - كقوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٠٥].

يتّخذ المفسّرون هذه الآية دليلاً على فساد قول النصارى وقد قالوا إنّه يحتمل أنواعاً من الحجّة:

أ - إنّ اليهود كانوا يعادونه ويقصدونه بالسوء، فما قدر على الإضرار بهم. وكان أنصاره وصحابته يحبّونه، فما قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم. والعاجز عن الإضرار والنفع، كيف يُعقَل أن يكون إلهاً. وتغطية لهذا التفسير، قال البيضاويّ: إنّ عيسى وإن ملك هذا الامتياز بتمليك الله إيّاه، لا

---

[٢٠٤] القرآن، سورة المائدة، الآية ٧٥.

[٢٠٥] القرآن، سورة المائدة، الآية ٧٦.

يملكه من ذاته. ونحن نقول: لو كان المسيح مجرّد عيسى القرآن، عيسى العبد لسلّمنا بأنّه لا يملك من ذاته ضراً ولا نفعاً. ولكنّ المسيح كما قال إشعياء النبيّ: «و يدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبديّاً رئيس السلام»[٣٠٦]. ونحن نشكره لأنّ رسالته لم تكن للضرر ولا للنفع الماديّ. بل كانت رسالة خلاص، والقرآن نفسه قال إنّه جاء «رحمةً للعالمين».

ب – **إنّ مذهب النصارى يقول إنّ اليهود صلبوه ومزّقوا أضلاعه.** ولمّا عطش، وطلب الماء منهم، صبّوا الخلّ في منخريه. ومَن كان في الضعف هكذا، كيف يُعقل أن يكون إلهاً؟!

ج – **إنّ إله العالم يجب أن يكون غنيّاً عن كلّ ما سواه.** ويكون كلّ ما سواه محتاجاً إليه، فلو كان عيسى كذلك لامتنع كونه مشغولاً بعبادة الله تعالى. لأنّ الإله لا يعبد شيئاً، إنّما العبد هو الذي يعبد الإله. ولمّا عُرف بالتواتر كونه كان مواظباً على الطاعات والعبادات، علمنا أنّه إنّما كان يفعلها لكونه محتاجاً في تحصيل المنافع، ودفع المضارّ إلى غيره. ومَن كان كذلك، كيف يقدر على إيصال المنافع إلى العباد، ودفع المضارّ عنهم؟ وإذ كان كذلك كان عبداً كسائر العبيد.

❖ ناسوت المسيح في الإسلام

١– عبد لا رب:

كقول القرآن بلسان المسيح: **﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾**[٣٠٧].

جاء في التفسير الكبير للإمام الرازي أن لكلمة «عَبْدُ اللَّهِ» أربع فوائد:

---

[٣٠٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٩ الآية ٦.

[٣٠٧] القرآن، سورة مريم١٩ الآيات ٣٠–٣٢.

١ - رفع الوهم عن الذي ذهبت إليه النصارى من أنه إله.

٢ - إن المسيح، لما أقرَّ بالعبودية، فإنْ كان صادقاً في مقالـه فقد حصل الغرض. وإن كان كاذباً، لم تكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية، فعلى التقديرين يبطل كونه إلهاً.

٣- إن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم. ثم أن عيسى لم ينص على ذلك، وإنما نصَّ على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم.

٤ - إن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله يفيد إزالة التهمة عن الأم، لأن الله لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة. ثم يُعلّق الرازي على اعتقاد النصارى بلاهوت المسيح، فيقول: **«إن مذهب النصارى متخبط جداً، فقد اتفقوا أن الله سبحانه وتعالى ليس بجسم ولا متحيز، ومع ذلك فإنا نذكر تقسيماً يبطل مذهبهم على جميع الوجوه. فنقول: أما إنْ يعتقدوا كونه متحيزاً أبطلنا قولهم على حدوث الأجسام. وإن اعتقدوا أنه ليس متحيزاً فحينئذ يبطل قولهم من أن الكلمةُ اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمر، وامتزاج النار بالفحم. لأن ذلك لا يُعقل إلا في الأجسام».**

❖ الفكر المسيحي:

فكر القرآن بالنسبة لشخص المسيح قائم على حقيقتين تحملان سراً لا يدركه الإنسان الطبيعي:

١ - إن المسيح بصفة كونه ابن مريم، هو عبد الله. وهذا التعبير ورد في التوراة: **«هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدّاً..وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا»**[٣٠٨].

---

[٣٠٨] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٥٢ الآية ١٣، والأصحاح ٥٣ الآية ١١.

٢ – إن صفة (عبد) لا تستطيع أن تنفي القول القرآني بأنه «كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ». والمتأمل بعمق في هذا النص القرآني المزدوج، يلاحظ من خلاله ما يوفق إعلان بولس أن «يسوع صار من نسل داود من جهة الجسد. وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات: يسوع المسيح ربنا»[٣٠٩].

٣ – والقرآن يلقب المسيح بالكلمة– والكلمة هُنا مسمى ذكر عاقل، قائم بذاته فقال: «اسمه» ولم يقل: «اسمها» مع أن الكلمة مؤنث، دلالة على أن هذا الكلمة ليس لفظاً، بل شخصاً قائماً بذاته، وتتضح هنا حقيقتان هامتان:

(١) كل ما يتعلّق بذات الله تعالى أزلي، فلا بد أن يكون كلمة الله أزلياً، وهذا واضح من القول: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾، أي أن هذا الكلمة كائن من قبل أن يُلقى إلى مريم. فالمسيح هو ذات كلمة الله، وبعبارة أخرى هو ذات الله، لوحدة الطبيعة الإلهية، وبحكم أن الكلمة صدر من الله بغير طريق الخلق والإبداع، فالمسيح أزلي، (هو الأزلي مع الآب منذ الأزل)[٣١٠].

(ب) تسافر كلمة الإنسان المحدود آلاف الأميال، وتظل في عقله في نفس الوقت (دون انفصال). فما بالك بكلمة الله الغير محدود!

٤ – ويُلقِّب القرآن المسيح بأنه روح منه، وفيها يقول الرازي:

(أ) إنه كان سبباً لحياة الخلق في أديانهم. ولما كان كذلك وُصِفَ بأنه روح.

(ب) ﴿وَرَوْحٌ مِنْهُ﴾ أي رحمة منه، فعيسى كان رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم. [وإننا نتساءل: هل لُقِّب أي شخص آخر بأنه رحمة من الله؟ لقد تحققت في المسيح مصالحة العدل مع

---

[٣٠٩] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية الأصحاح ١ الآيات ٣ و ٤.

[٣١٠] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاح ١ الآية ١.

الرحمة[311]].

(ج) قـوله ﴿روح﴾ أدخل التكبير في هذا اللفظ لإفـادة التعظيم، كان المعنى أنه روح من الأرواح الشريفـة العـالية القدسية. والبيـضاوي يقـول: «وَرَوُحٌ مِنْهُ»، أي ذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمـادة لـه. وقيل سُمّي روحـاً، لأنـه كان يحيي الأموات والقلوب.

فهـل كان الله قبل أن يُبدع هذا العالم ذا روح وكلمة، أم لـم يكـن كـذلك؟ فإن قيل: «له روح وكلمة منذ الأزل» سـألنا: أهما ذات الله أم غـيره؟ فـإن قيل: «غيره»، سألنا: إذاً فمع الله اثنان. ومن كان معه غيره فهو لـيس واحـداً أحد. وهذا باطل. وإنْ قلنا إن الروح والكلمة مخلوقان وليـسا موجـودين منـذ الأزل، كان هذا مناقضاً للاعتقاد البديهي في الله تعالى، من أنه الكـائن الأزلـي الحي الناطق، الروح جـوهر حيّ، والكلمة كُنْهُ الناطق. فالروح والكلمـة همـا ذات الله، لهما صفاته كلها دون تعدد ولا انفصال. فلا يمكننا أن نقول إن ذات الله حُرمت من النطق والحياة حيناً من الزمن. فـروح الله لابـد وأن يكـون أزليـاً كـالذات الإلهية، والأزلية تخـص الله فقط. وكلمة الله كائن أزلي قبل حـلوله في مريم. [فلا مجـال للشك في أن المسيح أزلي].

(٥) ويلقب القرآن المسيح بأنه ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾. قال الرازي: إنه سُمّي المسيح لأنه مُسِح من الأوزار والآثام، ولأن جبريل مسحه بجناحه وقت ولادتـه ليكون ذلك صونـاً له من مسّ الشيطان. ويقول المسيحيون أنه سُـمّي «ابْنُ مَرْيَمَ» بسبب ميلاده العذراوي، تحقيقاً للنبوة الأولى عن مجيئه، إنه نـسل المرأة الذي يسحق رأس الحية[312]. وتحقيقاً لنبوة إشعياء: «ها العـذراء تحبـل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (ومعناه: الله معنا)»[313].

---

[311] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور٨٥ الآية ١٠.

[312] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر التكوين الأصحاح ٣ الآية ١٥.

[313] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء الأصحاح ٧ الآية ١٤.

ونقول إنه: [إنْ كان قد نُسب إلى مريم كأمه- فلمن ننسبه كأب له؟ ونجيب: ننسبه لله، فهو المسيح ابن الله، كما أعلن جبرائيل الملاك لأمه العذراء: «هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى...فلذلك القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله»[314].

٢ - المسيح مثل آدم، كقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ﴾ [315].

قال الرازي: «في الآية إشكال، وهو أنه كان ينبغي أن يقول كن فكان». وهناك اجتهادات للرد:

جاء في جامع البيان لأبي جعفر الطبري أن الله قال: «يا محمد، أخبر نصارى نجران أن شبَه عيسى في خلقي إياه من غير فحل كشبه آدم، الذي قلت له كن فيكون، من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى. فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلقي آدم». وعن محمد بن سعد، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: «جاء رهط من أهل نجران، قدموا على محمد، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ فقال من هو؟ فقالوا عيسى، تزعم أنه عبد الله. فقال محمد أجل إنه عبد الله. فقالوا: رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم من خرجوا من عنده. فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم، فقال: «قل لهم إذا أتوك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾.

وفي رواية أخرى (عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن المفضل، عن السدي)، قال: «لما بُعث محمد وسمع به أهل نجران، آتاه أربعة من خيارهم: العاقب والسيد وماسرجس وماريجز، فسألوه ما يقول في عيسى؟ فقال هو عبد الله وروحه وكلمته. فقالوا: لا هو الله. نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم، ثم

---

٣١٤ الإنجيل، إنجيل الرسول لوقا الأصحاح ١ الآيات ٣٢ و٣٥.

٣١٥ القرآن، سورة آل عمران٣ الآية ٥٩.

خرج منها. فهل رأيت قط إنساناً ولد من غير أب؟ فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾.

وفي رواية ثالثة عن القسام، عن ابن جريج، عن عكرمة، قال: «بلغنا أن نصارى نجران قَدَمَ وفدهم على محمد، فيهم العاقب والسيد، فقالا: يا محمد لِمَ تشتم صاحبنا؟ فقال: من هو صاحبكما؟ قالا: عيسى ابن مريم. تزعم أنه عبد. قال: أجل إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فغضبوا منه، وقالوا: «إنْ كنت صادقاً فأرنا عبداً يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتصير طيراً، لكنه إله». فسكت حتى أتاه جبريل فقال: «يا محمد لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ». فقال محمد: «يا جبريل إنهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى» فقال جبريل: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ». كان يمكن القول إن مثل مريم كمثل آدم، فكلاهما نفخ الله فيه. عن آدم «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»[٣١٦]. وعن العذراء «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا»[٣١٧]. ولم يؤلّه أحدٌ آدمَ ولا العذراء مريم.

ومن المعروف أن آدم خُلق من طين، بغير أب ولا أم. وكان يجب أن يوجد كذلك لعدم وجود آباء ولا أمهات! ولكن ما الحكمة أن يجيء المسيح بدون أب بشري مع أن الأرض عامرة بالآباء الوالدين والأبناء المولودين؟ – لا بد أن نفتش عن سبب آخر من إعلان الله لنا بالوحي المقدس. لنفهم قصد الله من مجيء كلمته إلى العالم في جسد بشري. ولكننا لا نقدر أن نقول: «إن مثل المسيح كمثل آدم».

ولو كان المسيح مثل آدم لأُطلق على آدم لقب «كَلِمَةُ اللَّهِ» كما لُقّب المسيح. ولا يمكن أن يكون آدم الذي عصى ربه مثل المسيح الذي لم يخطئ

---

٣١٦ القرآن، سورة الحجر١٥ الآية ٢٩.

٣١٧ القرآن، سورة الأنبياء٢١ الآية ٩١.

أبداً. الفرق واضح بين المسيح الذي تـفرّد دون سائر الرسل والأنبياء بوصفه «كَلِمَةُ اللّه».

قال ذي النون: «عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي»، وهذا ما يؤكده الإنجيل[318].

❖ الثالوث في الإسلام:

لعل الخلاف الأكبر في الحوار بين المسيحيّة والإسلام، هو الخلاف القائم على اعتقاد المسيحيين بألوهية المسيح، الأمر الذي يحسبه الإسلام كفراً. وقد اعترض بعض مفكري الإسلام على هذه العقيدة بعدة آيات من القرآن، أبرزها أربع، وردت في سورة المائدة، وآية خامسة في سورة النساء.

١- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [319].

٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [320].

٣- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [321].

٤- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾

---

[318] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأول لأهل كورنثوس الأصحاح ١٢ الآية ٤.

[319] القرآن، سورة المائده الآية ١٧.

[320] القرآن، سورة المائده الآية ٧٢.

[321] القرآن، سورة المائده الآية ٧٣.

(٣٢٢).

٥-﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (٣٢٣).

ومن يتأمل هذه الآيات في ضوء تفاسير علماء الإسلام يلاحظ أن هذه النصوص تحارب تعليماً يحمل معنى الإشراك بالله وتعدّد الآلهة وعبادة البشر. ولكن المسيحيّة لا تُعلّم بالإشراك ولا بتعدّد الآلهة ولا بعبادة البشر، بدليل قول المسيح: «لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ»(٣٢٤).

لعل من يقرأ المائدة ٥: ١١٦ يتصوّر أن المسيحيين يؤلهون مريم العذراء، وهذا غير صحيح. والواقع أن السؤال الموجّه إلى المسيح هنا، نشأ من وجود أهل بدعة قبل ظهور الإسلام. وهم أناس وثنيون حاولوا الالتصاق بالكنيسة، فنادوا ببدعة مفادها أن مريم العذراء إلهة. ويقول المؤرّخون إنهم استعاضوا بها عن الزهرة التي كانوا يعبدونها قبلاً. وقد أطلقوا على أنفسهم اسم (المريميين). وأشار إليهم العلاّمة أحمد المقريزي في كتابه(٣٢٥). وذكرهم ابن حَزْم في كتابه(٣٢٦). ولكن هذه البدعة بعيدة كل البُعد عن المسيحيّة.

وليس هناك مسيحي واحد يؤمن بها. وقد انبرى العلماء المسيحيون وقتها لمقاومة هذه الضلالة بكل الحجج الكتابية والعقلية، ولم ينتهِ القرن السابع حتى كانت قد تلاشت. وكذلك المسيحيّة لا تعلّم بأن المسيح إله من دون الله، بل تؤمن

---

[٣٢٢] القرآن، سورة المائدة٥ الآية ١١٦.

[٣٢٣] القرآن، سورة النساء٤ الآية ١٧١.

[٣٢٤] الإنجيل، إنجيل الرسول متّى الأصحاح ٤ الآية ١٠.

[٣٢٥] القول الإبريزي، صفحة ٢٦.

[٣٢٦] الملل والاهواء والنحل صفحة ٤٨.

بأن الآب والابن إله واحد، بلا تعدّد ولا افتراق. وقد أكّد المسيح ذلك بقوله: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ...أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[٣٢٧].

أما قول القرآن: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ»، والذي يستند عليه أعداء المسيحيّة، فقد قيلت بطائفة (المرقونيين) الذين لفظتهم الكنيسة وحرمت أتباعهم، لأنهم علّموا بتثليث باطل، ونادوا بثلاثة آلهة وهم:

(أ) عادل، أنزل التوارة.

(ب) صالح، نسخ التوراة.

(ج) شرير، وهو إبليس.

كما أن الإسلام في نصوصه هذه، حارب طائفتي المانوية والديصانية اللتين تقولان بإلهين أحدهما للخير وهو جوهر النور، والثاني للشر وهو جوهر الظلمة.

إذاً فالإسلام لم يحارب عقيدة الثالوث المسيحيّة الصحيحة، كما يتوهّم البعض. ولهذا لا نعتبر أن آيات القرآن المقاومة لتعدد الآلهة كانت موجّهة ضد المسيحيّة. وحين نتتبع هذا الموضوع في الكتب الإسلامية، نرى أن علماء المسلمين بحثوا في عقيدة الثالوث وهذه هي تعليقاتهم على قول القرآن «وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ»[٣٢٨].

١- **تفسير الرازي**: صفات ثلاث-فهذا لا يمكن إنكاره. (الرازي وهو صاحب التفسير الكبير. ولكنه يتعرّض لصيغة التثليث المسيحي ويطبق عليها تكفير القرآن للثلاثة، لتفسيره الخاطئ): قوله «ثَلاثَةٌ»، خبر مبتدأ محذوف. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدأ على وجوه:

الأول: ما ذكرناه، أي ولا تقولوا الأقانيم ثلاثة. المعنى لا تقولوا: إن الله سبحانه هو واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقانيم. واعلم أن مذهب النصارى مجهول جداً، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث. إلاّ أنهم سمُّوها

---

[٣٢٧] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا الأصحاحُ ١٠ الآية ٣٠، والأصحاحُ ١٤ الآية ١١.

[٣٢٨] القرآن، سورة النساء ٤ الآية ١٧١.

صفات، وهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. فلهذا المعنى قال: ولا تقولوا: ثلاثة انتهوا فأما إن حملنا «الثَلاثَةٌ» على أنهم يُثبتون صفات ثلاث فهذا لا يمكن إنكاره. وكيف لا نقول ذلك، ونحن نقول: هو الله الملك القدوس ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر. ولا معنى لتعدد الصفات إلاّ ذلك. فلو كان القول بتعدّد الصفات كفر، لزم ردّ جميع القرآن، ولزوم ردّ العقل، من حيث نعلم بالضرورة إن المفهوم من كونه تعالى عالماً، غير المفهوم من كونه حيّاً.

الثاني: آلهتنا ثلاثة، كما قال الزجّاج مستشهداً بآية المائدة ٥: ١١٦.

الثالث: قال الفرّاء: «هم ثَلاثَةٌ» كقوله: سيقولون: «ثَلاثَةٌ». وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين.

ويعلق الكاتب المسيحي الحكيم، الذي اقتبسنا منه قوله: ونحن لا يعنينا التفسير اللغوي للمبتدأ المحذوف. إنما يهمنا تفسير الرازي لمقالة المسيحيين في التثليث. فهو يرد الأقانيم الثلاثة لأنها في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. وهذا هو غلطه في فهم العقيدة المسيحيّة. فليست الأقانيم الثلاثة في الله ذوات قائمة بأنفسها، إنما ذوات قائمة في جوهر الله الواحد.

والتثليث المسيحي هو كما وصفه الرازي: أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث. والمسيحيون يسمون هذه الصفات الإلهية الثلاث: الأبوة والبنوّة والروحانية في الله «أقانيم"، لتمييزها عن سائر صفات الله. فتلك الأقانيم الثلاثة هي صلات ذاتية كيانية – لا محض صفاتية – وهي قائمة في الجوهر الإلهي الفرد. لذلك نردّ على الرازي قوله: فأما إنْ حملنا الثلاثة – ويجب أن نحملها – على أنهم يثبتون صفات ثلاث، فهذا لا يمكن إنكاره...فلو كان القول بتعدد الصفات كفر، لزم رد جميع القرآن، ولزم رد العقل.

فالمسيحيون يثبتون في الله ذاتاً موصوفة بصلات ذاتية كيانية ثلاث، يسمّونها الآب والكلمة والروح. هذا هو التثليث المسيحي الصحيح الذي لمحه الرازي

وابتعد عنه لسبب في نفسه. وهذا ما يثبته المسيحيون مـن صـلات ذاتيـة، أو صفات كيانية، في الله. فمن أنكرها لزمه ردّ القرآن، ولزمه رد العقل، لأن هـذا التثليث الصحيح من صميم التوحيد.

٢- **تفسير الغزالي**: وهو ينصف المسيحيّة في عقيدتها التثليثية. قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في كتابه[٣٢٩]، يحلّل التثليث المسيحي: «**يـعتقدون أن ذات الـباري واحدة. ولـها اعتبارات:**

١ – فإن اعتُبرت مقيَّدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالوجود، فذلك المسمَّى عندهم بأقنوم الآب. وإنْ اعتُبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها، كالعِلم – فإن الذات يتوقف اتّصافها بـالعلم على اتّصافها بالوجود – فذلك المسمَّى عنـدهم بـأقنوم الابـن أو الكلمـة. وان اعتُبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها، فذلك المسمَّى عندهم بـأقنوم روح القـدس. فيقوم إذن من الآب معنى الوجود، ومن الكلمة أو الابن معنى العلـم [الحكمـة]، ومن روح القدس كون ذات الباري [روح] معقولة له. هذا هـو حاصـل هـذا الاصطلاح فتكون ذات الإله واحدة في الموضوع، موصوفة بكل أقنوم من هـذه الأقانيم.

٢ – **ومنهم من يقول: إن الذات، إن اعتُبرت من حيث هي ذات، لا باعتبار صفة البتة، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن العقل المجرد، وهو المسمَّى عندهم بأقنوم الآب**. وإنْ اعتُبرت من حيث هي عاقلة لذاتها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى العاقل، وهو المسمى بأقنوم الابن أو الكلمة. وإنْ اعتُبرت بقيد كـون ذاتها معقولة لـها، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى المعقول، وهو المسمَّى بأقنوم روح القدس.

فعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله فقط. والآب مرادفاً له،

---

٣٢٩ الرد الجميل ص ٤٣.

والعاقل عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها، والابن أو الكلمة مرادف له، والمعقول عن الإله عبارة عن الإله الذي ذاته معقولة له، وروح القدس مرادف له.

هذا اعتقادهم في الأقانيم: «إذا صحَّت المعاني فلا مشاحة في الألفاظ، ولا في اصطلاح المتكلمين». وقد أنصف الغزالي التثليث المسيحي في هذا الحكم: «والمعاني قد صحَّت، بحسب التنزيل الإنجيلي، والكلام المسيحي الذي يفصّله».

ويعلّق الكاتب الحكيم على أقوال الغزالي فيقول: فالغزالي يشهد للمسيحيين بالتوحيد، ويشهد لهم بصحة اصطلاحهم في تفسير التثليث في التوحيد، بناءً على الاعتبارين اللذين ساقهما عنهم: الأول على اعتبار الأقانيم في الله صفات ذاتية، في الذات الإلهية الواحدة، والثاني على اعتبار الأقانيم في الله أفعالاً ذاتية في الذات الإلهية الواحدة. والقول الصحيح الذي يجمع الأفعال الذاتية والصفات الذاتية، في الله الواحد الأحد، كونها صلات كيانية بين الله الآب وكلمته وروحه، في الجوهر الإلهي الواحد.

٣ - تفسير الزمخشري: يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم. إنْ صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وأنهم يريدون بأقنوم الآب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة - فتقديره (الله ثلاثة). وإلاَّ فتقديره (الآلهة ثلاثة). والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولدُ الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ!» وحكاية الله أوثق من حكاية غيره.

وقد علّق كاتب مسيحي حكيم على تفسير الزمخشري بقوله: نعم، إن حكاية الله أوثق من حكاية غيره. لكن القرآن حكى في تلك الآية لتفسير «الثَّلاثَةُ» مقالة بعض النصارى من جهال العرب في تثليثهم الكافر الذي كفّرته المسيحيّة قبل القرآن. فجاء الزمخشري وجعل من ذلك التثليث المنحرف تثليث المسيحيّة ظلماً

وعدواناً، مع أنه ينقل التثليث المسيحي الصحيح بتعبيره الصريح: الله ثلاثة: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم. ولماذا يشك في صحة قولهم الذي يورده عنهم، وينسب إليهم قولاً كافراً هم منه براء؟ إنه يفتري على القرآن وعلى المسيحية إذ يقول: «وحكاية الله أوثق من حكاية غيره».

٤ – تفسير البيضاوي: الله ثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس. ولا تقولوا: ثلاثة! أي الآلهة ثلاثة: الله والمسيح وأمه. ويشهد عليه قوله: أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ: اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه؟- أو «الله ثلاثة» إن صحّ انهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم، الآب والابن وروح القدس، ويريدون بالآب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة.

والمسيحيون يسألون البيضاوي وأمثاله: لماذا هذا الشك من مقالتهم التي بها يجهرون؟ ولماذا الافتراء عليهم بنسبة مقالة كافرة من بعض جهال الجاهلية، إلى المسيحيّة جمعاء، وهي منها براء؟ فالبيضاوي ينقل أيضاً صيغة التثليث الصحيح ولا يكفّرها، بل يُكذّب غيرها مثل غيره، اعتماداً على ظاهر القرآن في ما لا يعني المسيحيّة بشيء.

مطابقة الأشعرية للمسيحيّة: الأشعرية هي مذهب أهل السنّة والجماعة في الإسلام. ومقالتها في مشكل الذات والصفات في الله، هي أصحّ تعبير لحقيقة الأقانيم الثلاثة في الله. كانت الصفاتية تقول: صفات الله هي غير ذاته، مما يقود الى القول بقديمين. فجاءت المعتزلة تقول:صفات الله هي عين ذاته، مما يقود إلى التعطيل في الله. وقامت الأشعرية تقول بمنزلة بين المنزلتين: الصفات في الله ليست هي عين الذات، ولا هي غيرها، إنما هي في منزلة بين المنزلتين. وكيف يكون ذلك؟ هذا سر الله في ذاته. «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً»[٣٣٠].

والتعبير الأشعري، وهو قول الإسلام في الذات والصفات، أصحّ تعبير

---

٣٣٠ القرآن، سورة الإسراء ١٧ الآية ٨٥.

للتثليث المسيحي: إن الأقانيم الثلاثة في الله الواحد الأحد صفات ذاتية، بل صلات كيانية ·ليست هي عين الذات ولا هي غيرها، إنما هي في منزلة بين المنزلتين. وإذا قيل: كيف يكون ذلك؟ أجيب بما قاله الإمام مالك في تفسير: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»[٣٣١]. قال: **«الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة».**

فإذا كان السؤال عن تعبير قرآني مجازي بدعة ، فكم بالحري السؤال عن صلات الله الأقنومية في ذاته؟ لذلك يكفر من يحول الكلام في الذات والأقانيم إلى عملية حسابية، فيقول: كيف يكون الواحد ثلاثة؟ كلا ليس الواحد ثلاثة، على اعتبار واحد، وعلى صعيد واحد، إنما الله واحد في ذاته مثلث في صفاته، أو صلاته الذاتية أي أقانيمه الثلاثة. وليس في هذا ما يتعارض مع النقل الكريم، ولا مع العقل السليم. هذا هو التثليث الصحيح، في التوحيد الخالص.

وهذا التثليث الإنجيلي في التوحيد الكتابي ليس بالتثليث المنحرف الكافر الذي يكفّره القرآن بمقالته في «الثلاثة»، وصيغها الأربعة، وقد كفرتها المسيحيّة من قبله. لذلك فتكفير التثليث المسيحي باسم التوحيد القرآني، هو افتراء على التوحيد وعلى القرآن، وجهل بالإنجيل والعقيدة المسيحيّة.

إن التثليث المسيحي في التوحيد الخالص هو تفسير مُنزَل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية، فلا خلاف على الإطلاق بين التوحيد القرآني والتثليث الإنجيلي، في التوحيد الكتابي المتواتر في التوراة والإنجيل والقرآن. **«وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدُ وَنَحنَ لَهُ مُسلِمُونَ»**[٣٣٢].

---

٣٣١ القرآن، سورة طه ٢٠ الآية ٥.

٣٣٢ القرآن، سورة العنكبوت ٢٩ الآية ٤٦.

الخاتمة

التثليث في نبذة

كثيراً ما نُسأل عن شرح فكرة الله المثلث الأقانيم وبرهنتها. وأحب أن أقول إنني سعيدٌ جداً بهذا السؤال، فهو يقيم الحوار البناء النافع، ويظهرُ الاهتمام الجاد بالدين. فلندْعُ الله ليهدينا سواء السبيل وإلى معرفته، فقد قال متصوفٌ تقي: «**لا يملكُ الإنسانُ أن يبلغ إلى طبيعة الله بقوته الإنسانية، ولكن الله هو الذي يجذب إليه الإنسان ويرفعه إلى بهائه الذي لا يدركه العقل**».

١- وأحب أن أقول إننا نؤمن أن الله واحدٌ لا شريك له، غير محدود، مالي السماوات والأرض، خالق الكل، أزليٌ من قبل الكل، وأبديٌ لا نهاية لملكه. **وقد قال المسيح «إن أول الوصايا وأهمَّها هي أن الرب إلهنا ربٌ واحد، علينا أن نحبه من كل القلب والنفس والقدرة»**[٣٣٣] وقال الرسول المسيحي يعقوب في الإنجيل: «**أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل**»[٣٣٤] ويقول قانون الإيمان المسيحي: «**بالحقية نؤمن بإله واحد**».

وقد أمر المسيح تلاميذه أن يذهبوا إلى جميع الأمم ليعمدوهم باسم الآب والابن **والروح القدس – ولم يقل بأسماء الآب والابن والروح القدس**، وقد قال رسول المسيحية يوحنا: «**الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد**»[٣٣٥] ويقول المسيحيون إن الله موجودٌ بذاته – وهذا ما يطلقون عليه الآب – فلا يمكن أن الله الواحد الذي أوجد الموجودات كلها يكون بلا وجودٍ ذاتي وقولنا «آب» هنا لا تعني التوالد التناسلي، بل تعني الإبوة الروحية كقولك إن إبراهيم هو أبُ المؤمنين، وإن يكن هذا المعني مجازي

---

[٣٣٣] الإنجيل، إنجيل الرسول مرقس ألأصحاح ١٢ الآية ٢٨.

[٣٣٤] الإنجيل، رسالة الرسول يعقوب ألأصحاح ٢ الآية ١٩.

[٣٣٥] الإنجيل، رسالة الرسول يوحنا الأولى ألأصحاح ٥ الآية ٧.

فقط.

ونقول: إنّ الله الواحد الموجود بذاته هو أيضاً ناطقٌ بكلمته، ويطلقون على ذلك «الابن» و«الكلمة» فلا يمكن أن يكون الله الذي خلق الإنسان ناطقاً يكون هو نفسه غير ناطق بالكلمة، وتلقيب المسيح بأنه «كلمة الله» مأخوذٌ من الكلمة اليونانية **Logos** التي جاءت في الإنجيل، وهي تعني العقل، ومنها جاءت الكلمة الإنجليزية **Logic** أي منطقي. فالله خلق العالم بكلمته، بعقله، والله وعقله واحد، فمثلاً أنت تقول: بعقلي حللتُ المشكلة - أنت وعقلك واحد. عقلُك يلد فكرة تنفصلُ عنه وتُنْشَرُ في كتاب، وفي الوقت نفسه الفكرة موجودةٌ في عقلك. اللهُ ناطقٌ بكلمته، المسيح، الذي هو ابنُه (مثل الفكرة ابنةُ العقل) والذي هو فيه - في الآب، فالكلمة في العقل - ومع ذلك فالعقلُ يرسلُ الكلمة لتنتشر وتنفع وتهدي - والكلمة في الوقت نفسه موجودة في العقل.

ثم يقول المسيحيون إن الله حيٌّ بروحه - ويطلقون على ذلك «الروح القدس» فلا يمكن أن الله الذي خلق الحياة يكونُ هو نفسه غيرَ حيٍ بروحه - واللهُ وروحهُ واحد. هكذا يتحدث المسيحيون عن الله: الله واحد، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه، فهو الله الآب والابن والروح القدس، الموجود بذاته، الناطق بكلمته، الحي بروحه.

وإخوتنا المسلمون يقولون إن المسيحيين يعبدون إلهاً واحداً، ففي سورة العنكبوت آية ٤٦ نجد **«ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون»**.

ويصف القرآن المشركين بأنهم أشدُّ الناس عداوة للمسلمين، ولكنه يقول إن النصارى أقرب الناس مودة لهم، ففي سورة المائدة آية ٨٢ **«لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدنَّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى»**. والقرب ينفي البُعد والمودة تنفي البُغض. وهذا إعلانٌ

أن النصارى يعبدون الله الواحد، ولا يُشركون به، وقد فرق الإسلام بين المسيحيين والمشركين، فحرم على المسلمين الزواج من المشركات، ولم يحرم عليهم الزواج من المسيحيات، لأن الإسلام لا يعتبر المسيحيات مشركات. إذاً يا أحبائي نتفق نحن المسيحيين ويتفق معنا اخوتُنا المسلمون أننا نعبدُ إلهاً واحداً. الله واحد، الآب ذو الوجود الذاتي، الناطق بكلمته، الحي بروحه.

على أنه بكلِ أسف انتشرت أفكارٌ خاطئة عن التثليث قاومتها المسيحية. ومن ضمن هذه الأفكار الخاطئة عن التثليث تثليثٌ خاطئ نسميه« **ثالوث المريميين**» قد ظهر في القرن الخامس الميلادي، قبيل ظهور الإسلام. أصحاب هذا التثليث من أصل وثني، كانوا من قبل يعبدون الزهرة، ويقولون إنها «**ملكة السماء**» فعندما صاروا نصارى نقلوا معهم أفكارهم، وقالوا إن مريم العذراء هي ملكة السماء، وأصبحت عقيدتهم أن هناك ثلاثة آلهة: الله، ومريم، والمسيح.

وقد حاربت المسيحية هذا التعليم الخاطئ، ولم ينته القرنُ السابع الميلادي حتى كان هذا التعليم الخاطئ قد اندثر. وعندما ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي وجد بعض أتباع هذا التعليم الخاطئ، فحاربهم وحارب ثالوثهم – وهو ليس الثالوث المسيحي – ويتضح هذا مما جاء في سورة المائدة الآية ١١٦ «**وإذ قال الله يا عيسى بنَ مريم أأنت قلت اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟**» وفي سورة الأنعام الآية ١٠١ يقول «**بديعُ السماوات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة**». إن المسيحيين يُكفِّرون من نادى بثالوث المريمين، ويتفقون مع ما جاء في سورة المائدة ٧٣ «**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثة، وما من إله إلا إلهٌ واحد**».

الإسلام إذاً يحارب ثالوثاً غيرَ الثالوث المسيحي – لم يُحارب الإسلام إيمان المسيحية بأن الله واحد، له ذاتٌ واحدة، ناطقٌ بالكلمة، حيٌ بالروح، فالإسلام يقول إن المسيح رسولُ الله وكلمتُه وروحٌ منه – ولكن الإسلام حارب الثالوث

الذي حاربته المسيحية، والذي قال إن هناك ثلاثة آلهة: **الأب والأم (مريم) والابن الذي هو (المسيح).**

والمسيحيون يؤمنون أن الآب والكلمة والروح القدس متساوون في كل شيء، بلا فارق وبلا انفصال - الثلاثة متساوون في الأزلية - وهنا يبدو الفرق واضحاً بين الثالوث المسيحي والثالوث الوثني - الثالوث الوثني هو الذي هاجمه الإسلام، كما تهاجمه المسيحية:

في التثليث الوثني ليس الثلاثة واحداً - وفي التثليث الوثني توالد تناسلي وفيه اختلاف في الزمن، فقد مرّ وقتٌ لم يكن فيه أحدُ الثلاثة موجوداً - أما في المسيحية فهُم واحد، بلا تناسل ولا توالد، وبلا فارق زمني، لأن الله موجودٌ بذاته منذ الأزل، وفيه عقله **(الابن)** وفيه روحه **(الروح القدس)** - يؤمن المسيحيون أن الله هو الروح وهو الحكمة أو العقل، وهو الذات الإلهية، ولذلك فإن المسيحيين يتكلمون عن ألوهية الآب والابن والروح القدس والكل واحد - لا فرق بينهم.

لقد حاولت في حديثي هذا أن أوضح لعقل محدود حقائق عن إلهٍ غير محدود، وأن أتكلم عن الله بكلمات بشرية، وما كان يمكن أن أفعل هذا لولا ما أعلنه الله عن نفسه في الإنجيل. ومن هذا الإنجيل المُنزَل نستقي معلوماتنا عن الله نفسه، فالله هو الذي اتصل بنا، وفتش عنا بعد أن خلقنا. وقد شبه المسيح الله براعٍ صالح يفتش عن الخروف الضال حتى يجده..وهو يفتشُ عنك ليُعيد صلته بك.

في أول هذا الحديث جاوبت على سؤال يعترض فيه كاتبه على التثليث المسيحي، أوضحت فيه أن المسيحيين ينادون بإله واحد. وأعاود شكر صاحب السؤال على هذه الفرصة الطيبة التي منحها لي، لننشئ هذا الجسر أو الكوبري من الحوار البناء، خصوصاً وأن إخوتنا المسلمين يعتقدون أن مجادلة أهل الكتاب يجب أن تكون بالتي هي أحسن وهم مأمورون أن يقولوا لهم «**آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون**» كما جاء في سورة

العنكبوت الآية ٤٦ – كما أن الإنجيل يأمر المسيحيين بأن يتجنبوا المجادلات التي تُنتج الخصومات، فإن عبد الرب لا يجب أن يخاصم.

وأحب في حديثي هذا أن أوضح: كيف يؤمن المسيحيون بالتثليث، المبني على براهين من واقع الكتاب المقدس مع بعض التوضيحات المنطقية.

لكن قبل أن نسوق البراهين الكتابية على عقيدة الثالوث نود أن نقول إنه لا توجد حقيقة بسيطة ولا سهلة. أن الحجر يبدو قطعة واحدة، لكن الواقع أنه مركب من عددٍ لا يُحصى من الذرات، قد تبدو قطعة خشب أمامنا ساكنة، بينما واقع الأمر أن بداخلها حركة دائبة لا تهدأ.

أما وقد رأينا هذا في العالم المادي، فكم يكون في العالم الروحي؟! يا إخوتي الأحباء ليس برهان التثليث شيئاً سهلاً، فإن عقولنا المحدودة لا تقدر أن تدرك غير المحدود – وليس للمخلوق أن يفهم الخالق، لولا أن الخالق في محبته كشف لنا عن نفسه في الكتاب المقدس. فالبرهان الأول والأوحد على عقيدة التثليث مأخوذ من إعلان الله في الكتاب المقدس. فقد ضمنها المسيح في تعاليمه، كما تمسكت بها الكنيسة وقت معمودية أعضائها الجدد، باسم الآب والابن والروح القدس، وقدمها الرسل في العهد الجديد.

نرى الثالوث في إعلان ميلاد المسيح، فالآب أرسل الروح القدس لمريم العذراء ليحُلَّ عليها فتلد المسيح، ولا يستطيع دارسٌ للإنجيل أن ينسى منظر معمودية المسيح، وقد تحدثَ الآب من السماء، بينما يعتمد في الماء، والروح القدس يستقر على رأس المسيح في شكل حمامة. عندما يقدمُ لنا الله حقيقة فهو يعلنها لنا دون حاجة إلى برهنتها، فالله يعلن والإنسان يؤمن.

وقد أعلن الكتاب أسراراً غامضة لا تُدرك، لكن يؤمن بها. «السرائر للرب إلهنا، «السرائر للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا»[٣٣٦] «ما أبعد أحكامه عن

---

[٣٣٦] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر تثنية الأصحاح ٢٩ الآية ٢٩.

الفحص وطرقه عن الاستقصاء»[337].

فكون التثليث فوق إدراكنا لا يعني خطؤه، إن عقولنا القاصرة لم تُخلَق مقياساً للممـــكن وغير الممكن مما هو فوق إدراكها! ولعل هذا يُذكرنا بقول لـــوثر: لا شأن لنا بما فوق إدراكما.

١- جاء اسم الجلالة في التوراة «الوهيم» وهذه صيغة الجمـــع. وقـــد قـــال البعض إن هذا للتعظيم، ولكن عادة حديث الفرد عن نفسه بالجمع بقصد التعظيم لم تكن معروفة زمن كتابة التوراة كما يؤكد علماء العبرية. ولو كانت هذه العادة موجودة للزم أن تجيء كلُ أسماء الله وصفاته والضمائر المتصلة به في صـــيغة الجمع أيضاً، غير أننا لا نجد أثراً لهذا، فاسم الله في صيغة الجمع ألوهيم.

٢- أوضحت التوراة والإنجيل أن وحدة الله شاملة جامعة، فرغم القول: **«الله واحد وليس آخر سواه»**[338] نجد قول المزامير **«قال الرب لربي: اجلس عـــن يميني»**[339] وجاء في سفر الأمثال **«مَن صعد إلى السماوات ونزل؟..ما اســـمه وما اسمُ ابنه؟»**[340] وقال الرسول بولس عن المسيح: **«الذي كان في صـــورة الله، لم يَحسب خُلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلـــى نفـــسه آخـــذاً صـــورة عبد»**[341].

٣- أمر المسيح أن تُجرى المعمودية التي تدل على انتمـــاء المـــؤمن إليـــه بالقول: **«وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»**[342] ولم يقل: **«عمدوهم بأسماء الآب والابن والروح القدس»** كما أن الرسول بـــولس أعطـــى البركـــة

---

[337] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل رومية اَلأَصْحَاحُ ١١ الآية ٣٣.

[338] الإنجيل، إنجيل الرسول مرقس اَلأَصْحَاحُ ١٢ الآية ٣٢.

[339] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر المزامير، مزمور ١١٠ الآية ١ واقتبسها السيد المسيح في الإنجيل، إنجيل الرسول متّى اَلأَصْحَاحُ ٢٢: ٤٤.

[340] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر أمثال اَلأَصْحَاحُ ٣٠ الآية ٤.

[341] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل فيلبي اَلأَصْحَاحُ ٢ الآيات ٦ و٧.

[342] الإنجيل، إنجيل الرسول متّى اَلأَصْحَاحُ ٢٨ الآية ١٩.

الرسولية بالقول: «**نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم**»[٣٤٣].

٤- يتحدث الإنجيل عن الآب باعتبار أنه الله، وعن الابن باعتبار أنه الله، وعن الروح القدس باعتبار أنه الله أيضاً. وقد تناولنا ذلك بالتفصيل في فصل سابق. تأمل في هذه الآيات عن المسيح: «**ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام**»[٣٤٤]. ويحدث النبي المدينة التي وُلد المسيح فيها فيقول: «**منك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل**»[٣٤٥].

ويقول الإنجيل إن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد[٣٤٦] ويقول عنه بولس الرسول: «**فإنه فيه يحلُ كل ملء اللاهوت جسدياً**»[٣٤٧]. وقد قَبِلَ المسيح عبادة توما عندما قال له: «**ربي وإلهي**»[٣٤٨].

ويطلق الكتاب المقدس على الروح القدس لقب الله، والروح القدس يعلم كل شيء. وهو حاضرٌ في كل مكان، ويجب أن نقدم له العبادة[٣٤٩].

هذا يعني أن كلاً من الأقانيم الثلاثة هو الله. ولما كان الله واحداً، فلا بد أن هؤلاء الثلاثة هم واحد، فمنذ الأزل هم يتبادلون المحبة، والتكريم، والمشورة، والمسرة.

---

[٣٤٣] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الثانية لأهل كورنثوس اَلأَصْحَاحُ ١٣ الآية ١٤.

[٣٤٤] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء اَلأَصْحَاحُ ٩ الآية ٦.

[٣٤٥] التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر ميخا اَلأَصْحَاحُ ٥ الآية ٢.

[٣٤٦] الإنجيل، رسالة الرسول بولس الأولي لتيموثاوس اَلأَصْحَاحُ ٣ الآية ١٦.

[٣٤٧] الإنجيل، رسالة الرسول بولس لأهل كولوسي اَلأَصْحَاحُ ٢ الآية ٩.

[٣٤٨] الإنجيل، إنجيل الرسول يوحنا اَلأَصْحَاحُ ٢٠ الآية ٢٨.

[٣٤٩] قارن التوراة، العهد القديم في الكتاب المقدس، سفر إشعياء اَلأَصْحَاحُ ٦: ٨ و٩ مع أعمال اَلأَصْحَاحُ ٢٨: ٢٥ و٢٦، أعمال اَلأَصْحَاحُ ٥ الآيات ٣ و٤.

المراجع

١.) «معجم اللاهوت الكتابي»، دار المشرق ش م م. وجمعيات الكتاب المقدس في المشرق، بيروت – لبنان، طبعة ١٩٨٦م.

٢.) «علم اللاهوت النظامي»، تأليف القس جميس أنِس، راجعه ونقحُه وأضاف إليه الدكتور القس منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، طبعة ١٩٩٩م.

٣.) «علم اللاهوت النظامي»، دار الثقافة المسيحية، طبعة ١٩٧١م.

٤.) «التجسّد»، الأب فرنسيس فربيه، نقله إلى العربية الأب لويس أبادير.

٥.) «مقالة في التثليث والتجسد»، الأسقف بولسي البوشيّ، تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، مجموعة التراث العربي رقم ٤، لبنان ، طبعة ١٩٨٣.

٦.) «بين العقل والإيمان»، الجزء الثالث: كيف نفهم طبيعة المسيح وأعماله؟ بقلم د.هيرمان بافينك، ترجمة سعيد باز، مطبوعات الشرق الأوسط، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٠م.

٧.) شرح «أصول الإيمان» للقس إبراهيم سعيد، طبعة ١٩٣٢م.

٨.) تفسير «أصول الإيمان»، ترجمة الشيخ فايز فضيل، دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٧م.

٩.) «الله، في المسيحية» عوض سمعان، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، دار الطباعة القومية بالفجالة، طبعة ١٩٩٣م.

١٠.) كتاب « البراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية»، تأليف / القائمقام ترتن من فرقة المهندسين، ترجمة حبيب سعيد، طبعة أولي ١٩١٩م.

١١.) «رب المجد»، تأليف جماعة من اللاهوتيين المسيحيين من طوائف مختلفة، برآسة عبد الفادي القاهراني، مطبعة النيل المسيحية، طبعة ثانية ١٩٣٥.

١٢.) المسيحية في الإسلام القمص إبراهيم لوقا.

١٣.) عن كتاب المشرع للقس بولس سباط الطبعة الثانية.

١٤.) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، المؤلف: ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى : ٦٨٥هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٩٩٩، الطبعة الأولي.

١٥.) تفسير الزمخشري، المؤلف: أبو القاسم الزمخشري، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٩٩٨، الطبعة الأولي

١٦.) تفسير النسفي، المؤلف:أحمد محمود النسفي تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي.

١٧.) صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين مخلوف، طبع في دار الشروق القاهرة.

حسنين مخلوف: محمد بن حسنين بن مخلوف العدوي، المصري، المالكي، الأزهري، عالم مشارك في أنواع العلوم، ولد بمنفلوط بمصر سنة ١٢٧٧هـ، وتخرج من الأزهر وعين مديراً عاماً للمعاهد الدينية ومن أشهر تصانيفه، حاشية على خلاصة الحساب، ورسالة في مدخل علم أصول الفقه وغيرها، توفي سنة ١٣٥٥هـ بمصر، (معجم المؤلفين، كحالة، ٩/٢٣١).

١٨.) التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازى. الناشر: دار الفكر سنة النشر: ٢٠٠٢ الطبعة الأولي.

١٩.) تفسير أبي السعود محمد بن محمد العمادي، الناشر: دار الكتب، سنة النشر: ١٩٩٩، الطبعة الأولي ، .

٢٠.) الروح وما هيتها. للشيخ محمد الحريري البيومي.

٢١.) «فصوص الحكم»، لمحيي الدين ابن عربي، المحقق: الدكتور عاصم كيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، طبعة ٢٠٠٣م.

٢٢.) «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»، شرح العلامة الزبيدي الملقب بمرتضى في عشرة مجلدات، المطبعة الميمنية بمصر، عام ١٣٣١هجرية.

٢٣.) «المواقف» لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري المتصوف

العراقي، الناشر: دار الكتب العلمية، تاريخ النشر: ١٩٩٧م.

٢٤.) القول الإبريزي، تأليف: المقريزي (٨٤٥هـ،١٤٤٢م) (تقي الدين) (أبو العباس) أحمد بن علي بن عبد القادر المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الأصل المصري الحنفي، مطبعة التوفيق بالقاهرة، التاريخ ١٨٩٨م.

٢٥.) ونشرة بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٨٥ مترجمة عن المجلة التاريخية للقانون الفرنسي والأجنبي في شهر يونيو ١٩٨١، وقام بالترجمة الدكتور محمد بدر أستاذ تاريخ القانون في كلية الحقوق جامعة عين شمس.

٢٦.) مجلة كلية الأداب سنة ١٩٣٤م.

٢٧.) **"الرد الجميل لألهية عيسى بصرح الأنجيل"** تأليف: **أبي حامد محمد الغزالي.** الطبعة رقم ١، سنة ١/١٠/١٩٩٩، المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٢٨.) رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة ط٢، ١٩٦٧.

٢٩.) **پارمنيدس. زنون. مليسوس**، الكاتب: ويليام كيت چيمرز گاتري، ترجمة: مهدي قوام.

٣٠.) نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان، سامي النشار، دار نشر الثقافة في الإسكندرية، ١٩٦٤.

«إن للآب أقنوما متميزاً والإبن
أقنوما متميزاً، والروح القدس
أقنوما متميزا كذلك. ولكن الآب
والأبن والروح القدس لاهوت واحد،
ومجد متساوي، وجلال أبدي، الآب
غير محدود والأبن غير محدود،
والروح القدس غير محدود، لكن
ليسوا ثلاث آلهة غير محدود

القديس
أثناسيوس الرسولي